المكتبة الأولى للأسرة

مختصر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح

أو وصف الجنة

تأليف

ابن قيم الجوزية

الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

٦٩١ - ٧٥١ هـ

اختصره

د. أحمد بن عثمان المزيد

غفر الله له ولوالديه ولزوجته

ولأبنائه وللمسلمين



مدار الوطن للنشر



الطبعة الحادية عشرة

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م



الدائري الشرقي - مخرج ١٥

الرياض - الملز - ٢كم غرب أسواق المجد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن الأسرة هي المحضن الأساس للأفراد: تنشئةً وتربيةً ورعايةً؛ وهي في هذه المهمات الجسيمة تواجه تحديات كثيرة وكبيرة من الخطورة بمكان، مما يستدعي تزوّدها بزاد من العلم والهدى تهتدي به في مواجهة تلك التحديات؛ فليس من شكٍّ في أنّ العلم يعدُّ من أهم دعائم بناء الأسرة المسلمة.

ولا شكَّ أيضًا أن علم السابقين فيه من البركة والفائدة والعمق والشمول أكثر مما في علم المتأخرين، ومن هنا جاءت فكرة هذا المجموع المبارك الذي يحتوي على ستة كتب، وهي:

أولاً: «**مختصر رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**» هذا الكتاب المبارك الذي كتب الله له القبول والانتشار، فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المرتبة على أهم الموضوعات التي تحتاجها الأسرة المسلمة في عمل الدين والدنيا؛ ففيه عقائد، ورقائق، وآداب شرعية، وأحكام فقهية؛ فهو خير أنيس وجليس.

ثانيًا: «**هدي محمد ﷺ**» المنتقى من «زاد المعاد»[1] فيه ما تنشده الأسرة المسلمة من معرفة لهدي نبيها **محمد** ﷺ في: عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه؛ لتهتدي بهديه، وتستن بسنته، وتقتفي أثره صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: «**مختصر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**» إذا طالعته الأسرة المسلمة

---

(١) كان للقبول الطيب والمبارك لهذا الكتاب حيث بيع منه ٨٠٠٠٠٠ نسخة وتُرجم لأهم اللغات، الأثر البالغ في حرصي على إخراج هذه الكتب في سلسلة «مكتبة الأسرة المسلمة» وبيعها بسعر مخفض دعماً من المختصِر والطابع والناشر، وأن تكون حقوقها لكل مسلم ليسهل توزيعها في جميع أنحاء العالم.

اشتاقت إلى نعيم الجنة، وتطلعت إلى هذا الفوز العظيم، وبهذا تقوى الإرادة والعزيمة، ويقوى الباعث في القلب للفوز بذلك النعيم المقيم.

رابعًا: «**مختصر عدة الصابرين**» مما تشتد حاجة الأسرة إليه؛ لأنه في طريقها إلى الله تعالى تتعرض لأنواعٍ من المحن والابتلاءات، من فَقْد عزيزٍ، أو خسارةٍ ماديةٍ، وقد تمرُّ بها كذلك أيام السعادة والفرح والمسرات، وللمؤمن موقفٌ عند الشدة وعند النعمة، وهو الصبر والشكر.

خامسًا: «**مختصر الداء والدواء**» من الأهمية بمكان؛ لأن الذنوب والمعاصي من أهم أسباب فساد الأسر وخراب البيوت، فكان من المناسب اختصاره؛ لتحذر الأسرة المسلمة من الوقوع في هذه الآفات، وتتذكر عواقبها وآثارها السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع، بل على الأمم والشعوب.

سادسًا: «**مختصر الفوائد**» مناسبٌ لأفراد الأسرة المسلمة؛ لشغل أوقات الفراغ بما يبعث على النشاط ويدفع الملل، لما فيه من الفوائد اللطيفة، والمعاني الطريفة، وما على القارئ إلَّا أن ينتقي ما شاء منها.

وبعد... فهذه نبذة مختصرة عن هذا المجموع المبارك، نسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه ومعدّه وقارئه وكل مَنْ ساهم في نشره..

د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية – جامعة الملك سعود
dralmazyad@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعلَ جَنَّاتِ الفِرْدَوسِ لعباده المؤمنينَ نُزُلًا، ويسَّرهم للأعمالِ الصَّالحةِ الموصلةِ إليها فلم يتَّخِذوا سواها شُغلًا، وسهَّل لهم طُرقَها فسلكوا السبلَ الموصلة إليها ذُلُلًا، وحجبها بالمكاره؛ ليبلوهم أيُّهم أحسن عملًا، وجعل ميعاد دخولها يومَ القدوم عليه، وضرب مُدَّة الحياة الفانية دونه أجلًا، وأودعها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بَشَرٍ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأمينُه على وحيِهِ وخيرتُه من خَلْقِه، أَرسَلَه رحمةً للعالمينَ، بعثه للإيمان مناديًا، وإلى دارِ السلام داعيًا، أرسلَه على حين فَتْرَةٍ من الرسلِ، فهدى به إلى أقوم الطُّرق، وأوضحِ السُّبلِ، وافترضَ على العباد طاعتَه ومحبَّتَه، وتعزيرَه وتوقيرَه والقيامَ بحقوقِه، وسدَّ إلى الجنة جميعَ الطرق فلم يفتحْها لأحدٍ إلَّا من طريقه، فلو أتوا من كُلِّ طريقٍ، واستفتحوا من كل باب لما فُتِحَ لهم حتى يَكونوا خَلْفَهُ من الدَّاخلين، وعلى منهاجِه وطريقِه من السالكينَ.

أمَّا بعد: فإنَّ الله سبحانَه وتعالى لم يَخلق خلقَه عبثًا، ولم يتركهم سُدًى، بل خلقَهم لأمرٍ عظيمٍ، وخَطْبٍ جسيمٍ، عُرِضَ على السماواتِ والأرضِ

والجبالِ فأَبَيْنَ وأشفَقْنَ منه إشفاقًا ووَجَلًا، وحمَلَه الإنسانُ على ضعفِه وعجزِه عن حملِه، وباءَ به على ظُلْمِه وجَهلِه، فألقى أكثرُ النَّاسِ الحِملَ عن ظهورِهم لشدَّة مؤونته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبةَ الأنعامِ السائمةِ، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقِّهِ عليهم، ولا في المراد من إيجادِهم وإخراجِهم إلى هذه الدار التي هي طريقٌ ومَعْبرٌ إلى دارِ القرارِ، ولا يتفكّرون في قلّة مقَامِهم في الدنيا الفانية، وسُرعةِ رحيلهم إلى الآخرة الباقيةِ، فقد ملكَهم باعثُ الحسِّ، وغابَ عنهم داعي العقلِ، وشملَتْهم الغَفْلةُ وغرَّتهم الأماني الباطلةُ، والخدعُ الكاذبة، فخدَعَهم طولُ الأملِ، ورَانَ على قلوبِهم سوءُ العملِ، فهمُّهُم في لذَّاتِ الدنيا، وشهواتِ النفوسِ كيف حَصَلَتْ حَصَّلوها، ومن أيِّ وجهٍ لاحت لهم أخذوها، إذا أُبدي لهم حظٌّ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافاتٍ[1] ووحدانًا، وإذا عَرَضَ لهم عاجلٌ من الدنيا لم يُؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا.
﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]
﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

ولما عَلِمَ الموفَّقون ما خُلِقوا له، وما أُريدَ بإيجادهم رفعوا رؤوسَهم، فإذا عَلَمُ الجنةِ قد رُفِعَ لهم فشمَّروا إليه، ورأوا من أعظمِ الغَبْنِ بيعُ ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر في أبدٍ لا يزولُ، ولا ينفدُ بصُبابةِ عيش إنما هو كأَضْغَاثِ أحلامٍ، أو كطيفٍ زارَ في المنام، مَشُوبٍ بالنَّغَصِ، ممزوجٍ بالغُصَصِ، إنْ أضحكَ قليلًا أبكى كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا

---

(١) الزّرافات: جمع زَرافة، وهي الجماعة من الناس.

أَحْزَنَ شهورًا. آلامُهُ تزيدُ على لذَّاتِه، وأحزانُهُ أضعافُ أضعافِ مسرَّاتِه، وأوَّلُه مَخَاوفٌ وآخرُهُ مَتَالفٌ.

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعِه وترتيبِه، وتفصيلِه وتبويبِه، فهو للمَحْزُونِ سَلْوَةٌ، وللمُشتاقِ إلى تلك العرائسِ جلوةٌ، محرِّكٌ للقلوب إلى أجلِّ مطلوبٍ، وحادٍ للنفوسِ إلى مجاورة الملك القُدُّوسِ، مُمتع لقارئه، مشوّق للناظر فيه، لا يسأَمُه الجليسُ، ولا يَملُّه الأنيسُ.

إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا، وجلَّى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدُها عيانًا. فهو مثيرُ ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعثُ الهممِ العليّاتِ إلى العيشِ الهنيءِ في تلك الغرفاتِ، وسميته: "**حَادِي الأرواحِ إلى بلادِ الأفراحِ**" فإنه اسم يطابق مُسمَّاه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت.

واللهُ المسؤولُ أَنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مُدنيًا لمؤلِفِهِ وقارئِه وكاتبِه من جنَّاتِ النعيمِ، وأن يجعلهُ حجَّةً له، ولا يجعله حُجَّةً عليه، وأن ينفعَ به من انتهى إليه، إنه خير مسؤولٍ، وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحابُ رسولِ الله ﷺ والتابعونَ وتابعوهم وأهلُ السُّنَّة والحديثِ قاطبةً، وفقهاءُ الإسلامِ وأهلُ التَّصوف والزُّهدِ على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوصِ الكتابِ والسنةِ،وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلّهم من أوّلهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها.

وهذا يذكرُ السَّلفُ في عقائدِهم أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان.

* **وقد دلَّ على ذلك** من القرآنِ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ – ١٥] وقد رأى النبيُّ ﷺ سِدْرَةَ الـمُنْتَهى، ورأى عندها الجنَّة كما في الصحيحين[1]: من حديث أنس بن مالك في قصة الإسراء، وفي آخره: **"ثُمَّ انطلقَ بي جبريلُ حتى أتى إلى سدرة المنتهى، فَغَشِيها ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثُمَّ دخلتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤِ، وإذا تُرابها المِسكُ".**

* **وفي الصحيحين**[2]: من حديث عبدِ الله بن عمرَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعَشِيّ، إنْ كانَ من أهلِ**

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٢٥٩).

(٢) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم(٢٨٦٦).

الجنةِ فمن أهلِ الجنَّة، وإنْ كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ، فيُقال: هذا مقعدُكَ حتى يبعثَكَ اللهُ يومَ القيامةِ".

* وفي الصحيحين[1]: من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ عن النبي ﷺ قال: "اختصمتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت الجنَّةُ: يا ربِّ ما لها إنما يدخُلها ضعفاءُ الناس وسقطهم، وقالت النَّارُ: يا ربِّ ما لها يدخلُها الجبَّارون والمتكبِّرون. فقال: أنتِ رحمتي أصيبُ بكِ مَنْ أشاءُ، وأنتِ عذابي أصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكلّ واحدةٍ منكما ملؤها".

* * *

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

* وفي الصحيحين[2]: عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: "في الجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، بابٌ منها يُسَمَّى الرَّيانُ، لا يَدخلُه إلا الصَّائمونَ".

* وفي الصحيحين[3]: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أنفقَ

(١) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).

(٣) البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

زَوْجَيْنِ في شيءٍ من الأشياءِ في سبيل الله دُعي من أبوابِ الجنَّةِ: يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فَمَنْ كان من أهل الصلاةِ دُعِي من باب الصلاة، ومَنْ كانَ من أهل الجهاد دُعِي من باب الجهادِ، ومَنْ كانَ من أهلِ الصَّدقةِ دُعِي من بابِ الصَّدقةِ، ومن كان من أهل الصيامِ دُعِي من بابِ الرَّيَّان". فقال أبو بكر: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله، ما على من دُعي من تلكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، فهل يُدْعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ فقال: "نعم، وأرجُو أنْ تكونَ منهم".

وفي صحيح مسلم[1] عن عمرَ بن الخطابِ عن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحدٍ يَتوضَّأ فَيُبَلِّغُ - أو فَيُسْبِغُ - الوضوءَ ثم يقولُ: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةِ، يدخلُ من أيِّها شاء".

* * *

في ذكر سعة أبوابها

* عن أبي هريرة قال: وُضعَتْ بين يدي رسول الله ﷺ قَصْعةٌ من ثَريدٍ ولحم، فتناولَ الذِّراعَ - وكان أحبَّ الشاةِ إليه - فنهسَ نَهْسَةً[2] وقال: "أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ" ثم نهسَ أخرى وقال: "أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ"

---

(١) مسلم (٢٣٤).

(٢) نهس بالسين، معناه: أخذه بمقدم أسنانه، ونهش بالشين: أخذه بأسنانه وأضراسه جميعًا.

فلما رأى أصحابَه لا يسألونَهُ، قال: "ألا تقولونَ كيفَ"؟ قالوا: كيفَ يا رسولَ الله؟ قال: "يقومُ الناسُ لربِّ العالمين فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعي، ويَنْفُذُهُم البصرُ" فذكر حديث الشفاعةِ بطوله وقال في آخره "فأنطلقُ فآتي تحتَ العرشِ فأقعُ ساجدًا لربي، فيُقيمني ربُّ العالمين، مقامًا لم يُقمْهُ أحدًا قبلي ولن يُقيمَهُ أحدًا بعدي، فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقول: يا محمد أَدْخِلْ من أمتكَ مَنْ لا حسابَ عليهم من البابِ الأيمنِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبوابِ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه إنَّ ما بينَ المصراعينِ من مصاريعِ الجنةِ لكما بين مكةَ وهَجَرَ، أو هَجَرَ ومكةَ" وفي لفظ "لكما بين مكةَ وهَجَرَ، أو كما بين مكةَ وبصرى" متفق على صحته[1].

* وعن حكيم بن معاوية عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "أنتم موفون سبعينَ أمةً أنتم خيرُها وأكرمُها على الله، وما بينَ مصراعينِ من مصاريعِ الجنة مسيرةُ أربعينَ عامًا، وليأتينَّ عليه يومٌ وله كَظِيظٌ"[2].

* * *

في صفة أبوابها وأنها ذاتُ خِلَقٍ

عن الحسن ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]، قال: أبواب تُرى. وذكر أيضًا عن خُليد عن قتادة قال: أبواب يُرى ظاهرُها من باطنِها وباطنُها من ظاهرِها تتكلَّم وتُكلِّم، وتفهم ما يقال لها: انفتحي انغلقي.

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) المسند (٥/ ٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧): ورجاله ثقات.

* وعن أنس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ **"فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقعُها"**[1] وهذا صريح في أنها حَلْقة حسيّة تُحرّك وتقعقع.

* * *

في مفتاح الجنةِ

* **عن معاذِ بن جبلٍ قال:** قال رسولُ الله ﷺ: **"مِفتاحُ الجنةِ شهادةُ أَنْ لّا إلهَ إلَّا الله"** رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه **"مِفَاتيحُ الجنةِ شهادةُ أَنْ لا إله إلَّا الله"**[2].

وقد جعلَ اللهُ سبحانه لكلّ مطلوبٍ مفتاحًا يُفتحُ به، فجعل مفتاحَ الصَّلاةِ الطَّهورَ كما قال ﷺ: **"مِفتاحُ الصَّلاةِ الطَّهورُ"**[3] ومِفتاح الحجِ الإحرام، ومفتاح البرّ الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفَلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكّر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب

---

(١) الترمذي (٣١٤٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) المسند (٥/ ٢٤٢).

(٣) أبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وقال الترمذي: هذا الحديث أصحّ شيءٍ في هذا الباب وأحسن.

والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبُّر القرآن والتضرُّع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العِزِّ طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبةُ في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شرّ حبُّ الدنيا وطولُ الأمل.

وهذا بابٌ عظيمٌ من أنفعِ أبوابِ العلمِ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوفَّق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظُّه وتوفيقه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لكلِّ خيرٍ وشَرٍّ مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه، كما جعل الشركَ والكبرَ والإعراضَ عمَّا بعثَ الله به رسولَه، والغفلةَ عن ذكرِه والقيامَ بحقّه مفتاحًا للنار، وكما جَعَلَ الخمرَ مفتاحَ كُلِّ إثم، وجعل الغنى مفتاح الزنى، وجعل إطلاق النظر في الصُّور مفتاحَ الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشُّحَّ والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حلِّه، وجعل الإعراضَ عما جاء به الرسول مفتاح كلِّ بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلَّا كُلّ من له بصيرة صحيحة، وعقل يَعْرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتنيَ كُلَّ الاعتناء بمعرفة المفاتيح، وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له

الملك وله الحمد وله النعمة والفضل، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

* * *

في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقّع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢١] فأخبر تعالى أنَّ كتابَهم كتابٌ مرقومٌ؛ تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابةً حقيقيةً، وخصّ كتابَ الأبرار بأنه يُكتب ويُوقَّع لهم به بمشهد المقرَّبينَ من الملائكةِ والنبيينَ وساداتِ المؤمنينَ، ولم يذكر شهادةَ هؤلاءِ لكتابِ الفجّارِ؛ تنويهًا بكتاب الأبرارِ وما وُقِّع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواصّ خَلْقِهِ، كما يكتب الملوك تواقيع من تُعظِّمه بين الأمراء وخواصّ أهل المملكة؛ تنويهًا باسم المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاةِ اللهِ سبحانَه وملائكتِه على عبدِه.

* **عن البراءِ بن عازبٍ ﷺ قال:** خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازةٍ، فجلس رسولُ الله ﷺ على القبرِ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسِنا الطيرَ وهو يُلْحَدُ له، قال: **"أعوذُ باللهِ من عذابِ القبرِ"** ثلاثَ مراتٍ.ثم قال: **"إنَّ المؤمنَ إذا كان في إقبالٍ من الآخرةِ وانقطاعٍ من الدنيا، تَنَزَّلَتْ إليه الملائكةُ كأنَّ على وجوهِهم الشَّمسَ، مع كلِّ واحدٍ منهم كفنٌ وحنوطٌ، فجلسوا منه**

مدَّ بصرِه، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتَّى يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ قال: فتخرجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فيِّ السّقاءِ، فيأخذُها، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يدِهِ طرفَةَ عينٍ حتى يأخُذُوها؛ فيجعلُوها في ذلك الكفنِ وذلكَ الحنوطِ، ويخرجُ منها كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ».

قال: فيصعدونَ بها فلا يمرُّون بها – يعني على ملأ من الملائكةِ – إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلانٍ بأحسنِ أسمائِه التي كانوا يسمُّونَهُ بها في الدنيا، حتى ينتهُوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحونَ له فيفتحُ لهم، ويشيعُه من كُلِّ سماءٍ مقرَّبُوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى بها إلى السماءِ التي فيها الله عزَّ وجلَّ، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَ عبدي في عِلِّيينَ، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتُهُم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أخرى.

قال: فتُعاد روحُه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولانِ لهُ: مَنْ ربُّكَ؟ فيقولُ: ربّي الله، فيقولانِ له: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينيَ الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ فيقولانِ له: وما علمُك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وصدَّقتُ.

قال: فينادي منادٍ من السماءِ: أن صدقَ عبدي، فأفرشُوهُ من الجنةِ، وألبسوهُ من الجنةِ، وافتحُوا له بابًا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحِها وطيبِها، ويُفسحُ له في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ.

قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ حسنُ الثيابِ طَيّبُ الريحِ، فيقولُ: أبشرْ بالذي يَسرُّكَ، هذا يومُك الذي كنت تُوعد، فيقولُ له: مَنْ أنتَ؟ فوجهك الوجه الذي يجيءُ بالخيرِ؟ فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ، فيقولُ: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرةِ، نزلَ إليه من السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ.

قال: فتفرّقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفودُ من الصُّوفِ المبلولِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتى يجعلُوها في تلك المسوح، ويخرجُ منها كأنتن ريحِ جيفةٍ وُجدت على وجهِ الأرضِ، فيصعدونَ بها، فلا يمرونَ بها على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانُ ابنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى إلى سماء الدنيا فيُستفتحُ له فلا يفتحُ لهُ"، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

«فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سِجِّينٍ في الأرضِ السفلى، وتُطرح روحُهُ طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج ٣١] فتعادُ

روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملكانِ فيجلسانِهِ فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: هاه هاه!!! لا أدري، فيقولانِ لَهُ: ما هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فينادي منادٍ من السماءِ: أن كذبَ عبدي فأفرشُوه من النارِ، وافتحُوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حَرِّهَا وسَمومِهَا، ويضيقُ عليه قبرُهُ حتى تختلفَ أضلاعُهُ، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثياب منتنُ الريحِ، فيقولُ له: أبشرْ بالذي يسوؤُكَ، هذا يومك الذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيءُ بالشرِّ؟ فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة"(١).

* * *

في توحّدِ طريقِ الجنةِ وأنه ليس لها إلاَّ طريقٌ واحد

هذا مِمَّا اتَّفقت عليه الرسلُ من أوَّلهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم، وأمَّا طرقُ الجحيمِ: فأكثرُ من أن تُحصى، ولهذا يُوحِّد سبحانه سبيله ويجمع سُبُل النار، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩] أي: ومن السبيل جائرٌ عن القصدِ وهي

---

(١) أبو داود (٤٧٥٣)، والمسند (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥).

سبيلُ الغيّ، وقال: ﴿ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر: ٤١]، **وقال ابن مسعود:** خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا وقال: "**هذا سبيل الله**" ثم خطَّ **خطوطًا** عن يمينِه وعن يسارِهِ ثم قال: "**هذه سُبُلٌ، وعلى كلِ سبيل منها شيطان يدعو إليه**" ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية(١).

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] قيل: هي سُبل تُجمع في سبيلٍ واحد، وهي بمنزلة الجواد والطرقِ في الطريقِ الأعظمِ، فهذه هي شُعبُ الإيمانِ يجمعُها الإيمانُ، وهو شعبةٌ كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابةُ داعي الله بتصديقِ خبرِهِ وطاعةِ أمرِهِ، وطريقُ الجنةِ هي إجابةُ الداعي إليها ليس إلَّا.

* **وقد روى البخاري في صحيحه(٢) عن جابر قال: "جاءت ملائكةٌ إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلًا فأضربوا له مثلًا، فقالوا: مثله مثل رجل بني دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الدّاعيَ دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجب الداعي لم يدخلِ الدَّارَ، ولم يأكلْ من المأدبة،**

---

(١) ابن ماجه (١١) في المقدمة، باب اتباع السنة، والدارمي (١/ ٦٧ – ٦٨) في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، وأخرجه ابن حبان (١٧٤١) في تفسير سورة الأنعام.

(٢) البخاري (٧٢٨١).

فقالوا: أوّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظانُ، الدارُ: الجنة، والداعي: محمدٌ، فمنْ أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ الله، ومَنْ عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بينَ الناسِ".

* * *

في درجات الجنة

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥ – ٩٦].

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولًا بدرجةٍ، ثم أوقعه ثانيًا بدرجاتٍ، فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني: بين القاعد بلا عذر والمجاهد. وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

* **وفي الصحيحين**[1] **عن أبي سعيد الخُدْريِّ** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **"إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَوْنَ أهلَ الغرفِ من فوقِهِم كما يَتراءونَ الكوكبَ الدُّريَّ الغابرَ مِنَ الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ، لِتَفَاضُلِ ما بينهم"** قالوا: يا رسول الله، تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم؟ قال: **"بلى، والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقُوا المرسلين"** ولفظُ البخاري: **"في الأفق"** وهو أبين، والغابر: هو الذَّاهب الماضي الذي قد تدلّى للغروب، وفي التمثيل به - دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى - فائدتان:

- إحداهما: بُعْدُه عن العيونِ.
- والثانية: أنَّ الجنَّة درجاتٌ، بعضها أعلى من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلى، كالبساتين الممتدَّة من رأس الجبل إلى ذيله، والله أعلم.

* **وفي الصحيحين**[2] **أيضًا من حديث سهل بن سعد** ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَوْنَ أهلَ الغرفةِ في الجنةِ كما ترونَ الكوكبَ في أُفُقِ السماءِ"**.

* **وفي المسند**[3] **عن أبي سعيد الخدري** عن النبي ﷺ قال: **"يُقال لصاحبِ القرآنِ إذا دخلَ الجنةَ: اقرأْ واصعدْ، فيقرأُ ويصعدُ بكلِّ آيةٍ درجةً، حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ معهُ"**.

وهذا صريح في أنَّ درج الجنة تزيد على مائة درجة.

---

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).

(٣) المسند (٣/ ٤٠).

في ذكرِ أعلى درجاتِها، واسمِ تلكَ الدرجةِ

* روى مسلم في صحيحه[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشْرًا، ثم سَلُوا اللهَ لي الوسيلةَ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجُو أن أكونَ أنا هو، فمنْ سأَلَ لي الوسيلةَ حَلَّتْ عليه شفاعتي**".

* وفي الصحيحين[2] من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "**من قال حينَ يسمعُ النّداءَ: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ والدرجةَ الرفيعةَ، وابعثْهُ مقامًا محمودًا الذي وعدتهُ، إلَّا حلَّتْ له الشفاعة يومَ القيامة**".

ولما كان رسولُ الله ﷺ أعظم الخلق عبوديةً لربه، وأعلمهم به، وأشدّهم له خشيةً، وأعظمهم له محبةً، كانت منزلته أقربَ المنازلِ إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر ﷺ أمَّتَهُ أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زُلفى من الله وزيادة الإيمان، وأيضًا فإن الله سبحانه قدَّرها له بأسباب منها: دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى، صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) البخاري (٦١٤)، والذي في مسلم الحديث السابق (٣٨٤).

في عرض الرَّبِّ تعالى سلعتَه الجنَّةَ على عبادِه، وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فجعلَ سبحانه الجنَّة ثمنًا لنفوسِ المؤمنينَ وأموالهم، بحيثُ إذا بذلُوها فيه استحقُّوا الثمنَ، وعقدَ معهم هذا العقدَ.

* وفي جامع الترمذي(١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"مَنْ خافَ أَدْلجَ، ومن أدلجَ بلغ المنزلَ، أَلَا إنَّ سِلْعَةَ الله غاليةٌ، أَلَا إنَّ سِلْعَةَ الله الجنةُ"**.

* **وفي الصحيحين(٢) عن أبي ذر** ﷺ **قال:** قال رسولُ الله ﷺ: **"أتاني آتٍ منْ ربي فأخبرني - أو قال فبشرني - أنه منْ ماتَ من أمتكَ لا يشرك بالله شيئًا دخلَ الجنةَ، قلت: وإنْ زنَى وإن سرقَ؟ قال: وإنْ زنى وإنْ سرقَ"**.

* **وفي الصحيحين(٣) من حديث عبادة بن الصامت** ﷺ **قال:** قال رسول الله

---

(١) الترمذي (٢٤٦٠).

(٢) البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).

(٣) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

ﷺ: "**مَنْ قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حقٌّ وأنَّ النَّارَ حقٌّ؛ أدخله اللهُ من أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاءَ**".

وهاهنا أمرٌ يجب التنبيه عليه: وهو أنَّ الجنة إنما تُدْخَلُ برحمة الله وليس عملُ العبدِ مستقلاً بدخولها، وإن كان سببًا، ولهذا أثبت اللهُ دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨] ونفى رسولُ الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: "**لنْ يدخُلَ أحَدٌ منكم الجنَّة بعمله**" ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

- **أحدهما**: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون النجاةُ من النارِ بعفوِ الله، ودخولُ الجنةِ برحمتِه، واقتسامُ المنازلِ والدرجاتِ بالأعمالِ، ويدلُّ علَى هذا حديثُ أبي هريرة ﷺ الذي سيأتي إن شاء الله: "**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم**" رواه الترمذي(١).
- **والثاني**: أنَّ الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببيَّةَ ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.

وقد جمع النبيُّ ﷺ بين الأمرين في قوله: "**سَدِّدُوا، وقاربُوا، وأبشرُوا، واعْلَمُوا أنَّ أحدًا منكم لنْ ينجوَ بعمله**" قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال:

---

(١) الترمذي (٢٥٤٩).

"ولا أنا إلا أنْ يتغمَّدَني اللهُ برحمتِه"[1].

ومن عرفَ الله سبحانه وشهدَ مشهد حقّه عليه، ومشهدَ تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وخبره وجزم به، واللهُ المستعانُ.

* * *

في طلبِ أهلِ الجنةِ لها من ربِّهم وطلبها لهم وشفاعتِها فيهم إلى ربِّها عزَّ وجلَّ

قال تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣ – ١٩٤].

والمعنى: وآتنا ما وعدتنا على ألسنةِ رُسُلِكَ من دخولِ الجنةِ.

وتأمل كيف تضمَّنَ إيمانُهم به الإيمانَ بأمرِه ونهيِه ورسلِه ووعدِه ووعيدِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وصدقِ وعدِهِ والخوفِ من وعيدِه واستجابتِهم لأمرِه، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى، فبذلك صحَّ لهم التوسُّل إلى سؤالِ ما وعدَهم به والنجاة من عذابه.

---

(١) البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

وأحبُّ خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالًا، وهو يحبُّ الملحِّين في الدُّعاء، وكلما ألحَّ العبدُ عليه في السؤال أحبَّه وقرَّبه وأعطاه؛ وفي الحديث "من لم يسألِ الله يَغْضَبْ عليهِ"[1] فلا إله إلا هو، أيّ جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمانِ، وحالت بين القلوبِ وبين معرفةِ ربِّها وأسمائِه وصفاتِ كمالِه ونعوتِ جلالِه؟!! و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقد روى أبوداود في سننه[2] من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبيَّ ﷺ قال للفتى – يعني الذي شكاه –: "كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ"؟ قال: أقرأ بفاتحةِ الكتابِ، وأسألُ اللهَ الجنةَ وأعوذُ به من النارِ، وإني لا أدري ما دَنْدَنَتُكَ ودندنَةُ معاذٍ. فقال النبي ﷺ: "إني ومعاذًا حولها نُدَنْدِنُ".

* * *

في أسماءِ الجنةِ ومعانِيها واشتقاقاتِها

* **الاسم الأول:** الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواعِ النعيمِ واللَّذةِ والبهجةِ والسرورِ وقُرَّةِ الأعينِ.

* **الاسم الثاني:** دار السلام، وقد سمَّاها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ

(١) الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧) بألفاظ متقاربة، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) أبو داود (١٦٧٢).

﴿ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، وهي أحقُّ بهذا الاسم، فإنها دارُ السلامةِ من كُلِّ بليّةٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهي دارُ الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلّمها وسلّم أهلها ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] والربُّ سبحانه يُسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٧ – ٥٨].

* **الاسم الثالث: دار الخلد**، وسُمِّيت بذلك لأنَّ أهلَها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

* **الاسم الرابع: دار المقامة**، قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤ – ٣٥].

* **الاسم الخامس: جنَّة المأوى**، قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١] وقال في النَّار: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩] وقال: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

* **الاسم السادس: جنات عدن**، فقيل: هو اسم جنّةٍ من جملةِ الجنانِ، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان، فكلها جنّات عَدْن، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم: ٦١] وقال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة: ٧٢].

* **الاسم السابع: دار الحيوان**، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والمرادُ الجنة عند أهل التفسير.

* **الاسم الثَّامنُ: الفردوس** قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨] والفردوس: اسم يُقال على جميع الجنة، ويُقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحقّ بهذا الاسم من غيره من الجنات.

قال حسان:

وإنَّ ثـوابَ الله كُلِّ مخلـد . جِنَانٌ من الفردوس فيها يُخَلَّدُ

* **الاسم التاسع: جنات النعيم**، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [لقمان: ٨] وهذا أيضًا اسمٌ جامعٌ لجميعِ الجنّاتِ لما تضمَّنته من الأنواعِ التي يتنعَّم بها من المأكولِ والمشروبِ والملبوسِ والصُّورِ والرائحةِ الطيِّبةِ والمنظرِ البهيجِ والمساكنِ الواسعةِ، وغير ذلك من النعيم الظاهرِ والباطنِ.

* **الاسم العاشر: المقام الأمين**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٢] والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوءٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهو الذي قد جمعَ صفاتِ الأمنِ كلِّها، فهو آمن من الزوالِ والخرابِ وأنواعِ النقصِ، وأهله آمنون فيه من الخروجِ والنغصِ والنكدِ، والبلدُ الأمين: الذي قد أَمِنَ أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] فجمع لهم بين أمنِ المكانِ وأمنِ الطعامِ، فلا يخافون انقطاعَ الفاكهةِ ولا سوءَ عاقبتِها ومضرَّتها، وأمنِ الخروجِ منها، فلا يخافون ذلك، وأمنِ الموتِ فلا يخافون فيها موتًا.

* **الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] فسمَّى جنته مقعدَ صدقٍ؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها.

ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجًا من أمر، فمتى كان دخولُه بالله ولله وخروجه كذلك، كان قد أُدخل مدخل صدق وأُخرج مخرج صدق.

في عددِ الجنّاتِ

الجنة: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتينِ والمساكنِ والقصورِ، وهي جنّات كثيرة جدًّا، كما روى البخاري في صحيحه[1] عن أنس بن مالك أنَّ أمَّ الربيعِ بنت البراءِ وهي أم حارثة بن سُراقة أتتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تُحدِّثني عنْ حارثةَ؟ - وكان قُتِلَ يومَ بدر أصابَه سهمُ غَرْبٌ - فإن كان في الجنة صَبَرتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهدتُ عليه في البكاءِ، قال: **"يا أمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنةِ، وإن ابنَكِ أصابَ الفردوسَ الأعلى"**.

* **وفي الصحيحين[2] من حديث أبي موسى الأشعري** عن رسول الله ﷺ قال:

"جنَّتان من ذهبٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من فضّةٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أن يَنْظُروا إلى ربِّهم إلَّا رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ".

وقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] **فذكرهما** ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] **فهذه أربع**.

* * *

---

(١) البخاري (٢٨٠٩)، ومعنى سَهمٌ غَرْبٌ: أي لا يُعرف راميه، ولا من أين أتى، أو جاء على غير قصد.

(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، ولفظه عندهما: "جنتان من فضة": آنيتهما وما فيهما، و"جنتان من ذهب": آنيتهما وما فيهما..."

في خلقِ الرَّبِّ تبارك وتعالى بعضَ الجنانِ، وغرسِها بيده تفضيلًا لها على سائرِ الجناتِ

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه، وخصَّها بالقُرب من عرشه، وغَرَسَها بيده، فهي سيِّدة الجنان، والله سبحانه يختار من كُلِّ نوعٍ: أعلاه وأفضَلَه، كما اختار من الملائكةِ جبريلَ، ومن البشرِ محمدًا ﷺ، ومن السماواتِ العليا، ومن البلادِ مكة، ومن الأشهر الشهر المحرَّم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات، إلى غير ذلك، فهو سبحانه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

* وقد روى مسلم في صحيحه[1] عن المغيرة بن شُعبة، عن النبي ﷺ قال: "سأل موسى عليه السلام ربَّه: ما أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً؟ قال: رجلٌ يجيءُ بعد ما أُدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيُقال له: ادخُلِ الجنَّة، فيقول: [أيْ] ربِّ! كيفَ؟ وقد نَزَلَ الناسُ منازلهم وأخذُوا أَخَذَاتِهم؟!! فيقالُ له: أترضى أن يكونَ لك مثل مُلْكِ مَلِك من ملوكِ الدنيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسُك ولذَّت عينُك. فيقول: رضيتُ رب، قال: ربِّ فأعلاهُمْ منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ،

---

(١) مسلم (١٨٩).

غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم ترَ عينٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ على قلب بشر" قال: ومصداقه من كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

* * *

في ذكر بوّابي الجنة وخزنتها، واسم مقدّمهم ورئيسهم

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] والخَزَنة: جمع خازن، مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه.

* وروى مسلم في صحيحه(١) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "آتي بابَ الجنة يومَ القيامةِ فأستفتحُ، فيقول الخازنُ: مَنْ أنتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقولُ: بك أُمِرْتُ أن لا أفتحَ لأحدٍ قَبْلَكَ".

* وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه(٢): "مَنْ أنفقَ زوجين في سبيلِ الله دعاه خَزَنةُ الجنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بابٍ: أيْ فُلُ، هلُمَّ" قال أبو بكر: يا رسولَ الله ذاك الذي لا تَوَى عليه. فقال النبي ﷺ: "إني لأرجو أن تكونَ منهم".

لما سَمَت هِمَّةُ الصِّدِّيق إلى تكميلِ مراتب الإيمانِ، وطمعت نفسُه أن يُدعى من تلك الأبوابِ كلّها، فسأل رسولَ الله ﷺ: هل يحصل ذلك لأحدٍ

---

(١) مسلم (١٩٧).

(٢) البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧)، وفُلُ: منادى مُرَخّم أي: يا فلان، لا تَوَى: لا هلاك.

من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله، وبشَّره بأنه من أهله.

فكأنه قال: هل تكمل لأحدٍ هذه المراتب فيُدعى يوم القيامة من أبوابها كُلّها؟ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس!!

وقد سمَّى اللهُ سبحانه كبيرَ الخزنةِ رضوانَ، وهو اسم مشتقٌّ من الرِّضا، وسمَّى خازنَ النارِ مالكًا، وهو اسم مشتقٌّ من الملك، وهو القوّة والشِّدَّة، حيث تصرَّفت حروفُه.

* * *

في ذكر أوَّل مَنْ يقرعُ بابَ الجنةِ

* **عن أنس بن مالك** ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"أنا أوَّلُ الناسِ خروجًا إذا بُعِثُوا، وأنا خَطيبُهم إذا أنصتُوا، وقائدُهم إذا وَفَدُوا، وشافعُهم إذا حُبِسُوا، وأنا مبشِّرُهم إذا أيسُوا، لواءُ الحمدِ بيدي، ومفاتيحُ الجنةِ يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ يومئذ على ربي ولا فخر، يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهم اللؤلؤ المكنون"**[1].

* **وفي صحيح مسلم**[2] **من حديث المختار بن فلفل عن أنس** ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ: **"أنا أكثرُ النَّاسِ تَبَعًا يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ من يَقْرَعُ بابَ الجنةِ"**.

---

(١) الترمذي (٣٦١٠)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) مسلم (١٩٦).

في ذكر أوَّل الأمم دخولاً الجنة

* في الصحيحين[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "نحنُ السَّابقونَ الأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أوتُوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم".

* وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "نحنُ الآخرونَ الأوَّلُون يومَ القيامةِ، ونحنُ أوَّلُ من يدخلُ الجنةَ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتابَ من قبلِنا، وأوتيناه من بعدِهم، فاختلفُوا فهدانا الله لما اختلفُوا فيه من الحقِ بإذنه".

فهذه الأمةُ أسبقُ الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكانٍ في الموقف، وأسبقهم إلى ظِلِّ العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصِّراطِ، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرَّمة على الأنبياء حتى يدخلَها محمد ﷺ، ومحرَّمة على الأمم حتى تَدْخُلَها أمته.

* * *

في ذكر السابقينَ من هذه الأمةِ إلى الجنةِ، وصفاتِهم

* في الصحيحين[3] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "أوَّلُ زُمرةٍ تَلِجُ الجنةَ صُورتهم على صُورة القمرِ ليلةَ البدرِ، لا يَبْصُقُون فيها، ولا

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) مسلم (٨٥٥).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

يتغوَّطُون فيها، ولا يتمخَّطُون فيها، آنيتُهم وأمشاطُهمُ الذهبُ والفضَّةُ، ومجامرُهم الألوَّة، ورَشحُهُم المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ؛ يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحُسْنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُض، قلوبُهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، يُسبِّحُونَ الله بُكْرةً وعَشِيًّا".

* وقال الإمام أحمد[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ من أمتي يَدْخُلُون الجنة، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخُلون النار، فأما أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنة: فالشهيدُ وعبدٌ مملوكٌ لم يشغلْه رِقُّ الدُّنيا عن طاعةِ ربِّه، وفقير مُتَعَفِّفٌ ذو عيال. وأوَّلُ ثلاثة يدخلون النَّار فأميرٌ مُسلَّط، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدي حَقَّ الله من ماله، وفقيرٌ فَخُور".

* وروى[2] عن عبد الله بن عمرو يقول: قال رسولُ الله ﷺ: "هل تدرون أوَّل منْ يدخلُ الجنةَ؟ قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، قال: "فقراءُ المهاجرينَ الذين تُتَّقى بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِهِ لا يستطيعُ لها قضاءً، تقول الملائكة: ربَّنا نحنُ ملائكتُكَ وخزنتُكَ وسكانُ سماواتِك، لا تدخلْهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يُشركون بي شيئًا، تُتَّقى بهمُ المكارهُ، يموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدره لم يستطعْ لها قضاءً، فعند ذلك تدخلُ عليهم الملائكةُ من كلِّ بابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

* * *

(١) المسند (٢/ ٤٢٥، ٤٧٩).

(٢) المسند (٢/ ١٦٨).

في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

* روى الترمذي[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "يدخلُ فقراءُ أمَّتي الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بأربعين خريفًا".

* وفي صحيح مسلم[2] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ فقراءَ المهاجرينَ يسبقونَ الأغنياءَ يومَ القيامة بأربعينَ خريفًا".

* * *

في ذكرِ أصنافِ أهلِ الجنةِ الذين ضُمِنَت لهم دون غيرِهم

* قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦] فأخبر أنه أعدَّ الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصافَ المتقينَ، فذكر بذلهم للإحسان في

---

(١) الترمذي (٢٣٥٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) مسلم (٢٩٧٩).

حالةِ العسرِ واليسرِ والشدّةِ والرّخاءِ، فإن من الناسِ مَنْ يبذل في حالِ اليسرِ والرخاءِ، ولا يبذل في حال العسرِ والشدةِ، ثم ذكرَ كفّ أذاهم عن الناسِ بحبسِ الغيظِ بالكظمِ، وحبس الانتقام بِالعفوِ.

ثم ذكر حالَهم بينهم وبين ربِّهم في ذنوبِهم، وأنها إذا صَدَرَت منهم قابلوها بذكرِ اللهِ والتوبةِ والاستغفارِ، وترك الإصرارِ، فهذا حالهم مع الله، وذاك حالهم مع خلقه.

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فأخبر تعالى أنه أعدَّها للمهاجرينَ والأنصارِ وأتباعِهم بإحسانٍ، فلا مطمعَ لمن خرجَ عن طريقِهم فيها.

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢- ٤] فوصفهم بإقامةِ حقِّه باطنًا وظاهرًا وبأداءِ حقِّ عباده.

* **وفي صحيح مسلم**(١) **من حديث عياض بن حمار المجاشعي** ﷺ **أنَّ** رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يومٍ في خطبته: **"ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلِّمَكم ما جهلتم ممَّا علَّمني من يومي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبدًا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي**

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

حُنَفَاءَ كُلّهم وإنهم أتتهمُ الشَّياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، فحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمَرَتْهُمْ أن يُشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سُلطانًا، وإن الله نظرَ إلى أهل الأرض فمقتهم، عربَهم وعجمَهم، إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ. وقال: إنما بعثتُكَ لأبتليكَ وأبتلي بك. وأنزلتُ عليكَ كتابًا لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائمًا ويقظانَ، وإن الله أمرني أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رأسي، فَيَدعُوه خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهُم كما أخرجُوك، واغْزُهُم نغزك، وأنفقْ فَسَنُنْفِق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعَكَ مَنْ عصاك، قال: وأهلُ الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مُقْسِطٌ مُتصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لِكُلِّ ذي قُربى ومسلم، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ قال: وأهل النار خمسة: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ لَهُ، الذين هم فيكم تبعًا لا يبغونَ فيكم أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يخفى له طمعٌ، وإن دَقَّ، إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يصبحُ ولا يُمسي إلَّا وَهُوَ يخادعكَ عن أهلك ومالك" وذَكَرَ البخل، أو الكذب "والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ" وإن الله أوحى إِلَيَّ أن تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ ولا يبغي أحدٌ على أحد".

وبالجملة فأهلُ الجنة أربعةُ أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]. فنسألُ اللهَ أَنْ يجعلنا منهم بِمَنِّه وكَرَمِه.

* * *

في أنَّ أكثرَ أهلِ الجنَّةِ هم أمةُ محمدٍ ﷺ

* في الصحيحين[1] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: "أما تَرْضَونَ أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ"؟ فكبَّرنَا، ثم قال: "أمَا تَرْضَونَ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنةِ"؟ قال: فكبَّرنا، ثم قال: "إني لأرجُو أنْ تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنةِ، وسأخبرُكُمْ عن ذلك، ما المسلمونَ في الكفارِ إلاَّ كشعرةٍ بيضاءَ في ثورٍ أسودَ، أو كشعرةٍ سوداءَ في ثورٍ أبيض".

* وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أهلُ الجنةِ عشرونَ ومائةُ صفٍّ، هذه الأمةُ منها ثمانونَ صفًّا"[2].

* * *

في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وكذلك هم في النار

* ثبت في الصحيحين[3] من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إمَّا تَفَاخَرُوا وإمَّا تَذَاكَرُوا: الرجالُ أكثرُ في الجنةِ أم النساءُ؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أو لم يقلْ أبو القاسم ﷺ: "إنَّ أوَّل زُمْرَةٍ تدخلُ الجنَّة على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دُرِّي في السماء، لكل امرئٍ منهم

(١) البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) وهذا لفظ مسلم.

(٢) الترمذي (٢٥٤٦)، والمسند (٥/ ٣٤٧)، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

(٣) البخاري (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤) بألفاظ متقاربة، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

زوجتانِ اثنتانِ، يُرى مُخُّ سُوقهما من وراء اللحمِ، وما في الجنَّة عَزْبٌ".

فإن كُنَّ من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كُنَّ من الحور العين لم يلزمْ أن يكن في الدنيا أكثر.

والظاهرُ أنهنَّ من الحور العين.

* **ومن حديث جابر المتفق عليه:** شهدتُ مع رسول الله ﷺ العيد، صلَّى قبل أن يخطبَ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثم خَطَبَ بعدما صلَّى فوعظَ الناسَ وذكَّرَهم، ثم أتى النساءَ فوعظهنَّ، ومعه بلال، فذكَّرهن وأَمَرَهنَّ بالصدقةِ، قال: فجعلتِ المرأةُ تُلقي خاتمها، وخُرْصَها، والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالًا فجمع ما هناك، قال: **"إنَّ منكنَّ في الجنةِ ليسيرٌ"**، فقالت امرأة: يا رسول الله لِـمَ؟ قال: **"إنكن تُكْثِرْنَ اللعنَ، وتكْفُرْنَ العشيرَ"**[1].

وهذا يدل على أنهنَّ إنما كُنَّ في الجنةِ أكثَرَ بالحورِ العينِ التي خُلِقنَ في الجنةِ، وأقلَّ ساكنيها نساء الدنيا، فنساءُ الدنيا أقلُّ أهلِ الجنةِ وأكثرُ أهلِ النارِ، أما كونهنَّ أكثَرَ أهلِ النارِ فلما روى البخاري في صحيحه[2] من حديث عِمْرَان بن حصين رضي الله عنهما قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"اطلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء، واطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراء".**

---

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم(٨٨٥).

(٢) البخاري (٣٢٤١) و(٥١٩٨) و(٦٤٤٩) و(٦٥٤٦).

وأما كونهن أقلّ أهل الجنة ففي أفراد مسلم[1] عن مُطَرِّف بن عبد الله أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرى: جئتَ من عند فلانة؟ فقال: جئتُ من عند عمران بن حصين، فحدَّثنا أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّ أقلَّ ساكني الجنةِ النساءُ".

* * *

فيمن يدخلُ الجنةَ من هذهِ الأمةِ بغيرِ حسابٍ، وذكرِ أوصافِهم

* ثبت في الصحيحين[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: "يدخل الجنَّةَ من أمتي زمرةٌ هم سبعونَ ألفًا تُضيءُ وجوهُهم إضاءةَ القمر ليلة البدر".

* ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "عُرِضَتْ عليَّ الأممُ فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْط، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، ورُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انْظُرْ إلى الأفق، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" ثم نَهَضَ فدخلَ منزلَه، فخاضَ الناسُ في أولئك الذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضُهم: لعلَّهم الذين صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ.

---

(١) مسلم (٢٧٣٨).

(٢) البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم(٢١٦).

وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ، فلم يشرِكُوا بالله شيئًا، وذكرُوا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ، فقال: "**ما الذي تخوضونَ فيهِ**"؟ فأخبروه، فقال: "**هم الذين لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يتطَيَّرُونَ، وعلى ربهم يتوكلون**"، فقام عُكَّاشَةُ بنُ محصنٍ، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: "**أنت منهم**" ثم قامَ رجلٌ آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلَني منهم فقال: "**سبقك بها عُكَّاشَةُ**"[1].

والنبي ﷺ جعل الوصفَ الذي يستحقُّ به هؤلاءِ دخولَ الجنةِ بغيرِ حسابٍ هو تحقيقُ التوحيد وتجريده، فلا يَسألون غَيرهم أَنْ يَرقيهم ولا يَتطيرونَ وعلى ربهِم يتوكلونَ، والطِيَرَةُ: نوعٌ من الشركِ، ويتوكلون على الله وحدَه لا على غيرِه، وتركُهم الاسترقاء والتطير هو من تمامِ التوكُّلِ على اللهِ، كما في الحديث "**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**"[2].

قال ابن مسعود: وما منَّا إلَّا مَنْ تَطَيَّر، ولكنَّ اللهَ يُذْهبه بالتوكُّلِ.

فالتوكُّل ينافي التطيُّر، وأمَّا رقية العين فهي إحسان من الراقي، قد رقى رسولَ الله ﷺ جبريلُ[3]، وأَذِنَ له في الرُّقَى، وقال: "**لا بأسَ بها مَا لم يَكُن فيها شِرْكٌ**"[4] واستأذنوه فيها فقال: "**من استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فلينفعْه**"[5]

---

(1) البخاري (٦٥٤١)، ومسلم(٢٢٠).

(2) أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٥٣٨).

(3) مسلم (٢١٨٦).

(4) مسلم (٢٢٠٠).

(5) مسلم (٢١٩٩).

وهذا يدلُّ على أنها نفعٌ وإحسانٌ، وذلك مستحبٌّ مطلوبٌ لله ورسوله، فالراقي محسنٌ، والمسترقي سائل راجٍ نفعَ الغير، والتوكُّل ينافي ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسولَ الله ﷺ، وجبريلُ قد رقاه، قيل: أجل، ولكن هو لم يسترقِ، وهو ﷺ لم يقلْ: لا يرقيهم راقٍ، وإنما قال: لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيَهم، وفي امتناعه ﷺ أن يدعوَ للرجل الثاني سدٌّ لباب الطلبِ، فإنه لو دَعَا لكلِّ مَنْ سأله ذلك؛ فربما طلبه مَنْ ليس من أهله، والله أعلم.

* * *

في ذكر حثيات الرَّبِّ تبارك وتعالى الذين يُدخلهم الجنة

* عن أبي أمامة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: "**إنَّ الله وعدني أن يدخلَ الجنةَ مِن أمتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ**" قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلَّا مثل الذبابِ الأصهبِ في الذبابِ، قال رسول الله ﷺ: "**فإن الله وعدني سبعينَ ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وزادَ في ثلاثِ حثياتٍ**"[1].

* عن أبي بكر بن عمير، عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**إن الله وعدني أن يُدخلَ من أمتي ثلاثمائة ألفٍ الجنةَ**" فقال عميرٌ: يا رسول الله زِدْنَا فقال هكذا بيده، فقال عمير: يا رسولَ اللهِ زدنا فقال عمرُ: حَسْبُكَ يا عمير،

---

(١) المسند (٥/ ٢٥٠)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد وبعض أسانيد الطبراني: رجال الصحيح.

فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب، وما عليك أَنْ يُدخلنا اللهُ الجنةَ، فقال عمرُ: إن الله عزَّ وجلَّ إن شاءَ أدخلَ الناسَ الجنة بحفنةٍ أو بحثيةٍ واحدةٍ، فقال نبيُّ الله ﷺ: "**صدق عمر**"[1].

* **عن أنس** ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**يدخلُ الجنَّةَ من أمتي سبعون ألفًا**"، قالوا: زِدْنَا يا رسول الله، فقال: "**وهكذا**"[2] وحَثَى بيده، قالوا: يا نبي الله، أبعدَ اللهُ مَنْ دخل النَّارَ بعد هذا.

* * *

في ذكرِ تربةِ الجنةِ وطينتِها وحصبائِها وبنائِها

* **في الصحيحين**[3] **عن أنس بن مالك** ﷺ قال: كان أبو ذر يُحدِّث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "**أُدْخِلْتُ الجنَّة فإذا فيها جَنَابِذُ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المسكُ**" وهو قطعة من حديث المعراج.

* **وروى مسلم**[4] **في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري** أنَّ رسول الله ﷺ سأل ابنَ صَيَّادٍ عن تُربة الجنة فقال: دَرْمَكَةٌ بيضاءُ، مِسْكٌ خالصٌ، فقال رسول الله ﷺ: "**صدق**".

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر بن عمير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٧٨٣)، وقال البوصيري: رواه أبو يعلى ورواته ثقات.
(٣) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).
(٤) مسلم (١٩٢٨)، **والدَّرْمك**: هو الدقيق الحواري الخالص البياض.

في ذكرِ غُرفِها وقُصورِها ومقاصِيرِها وخيامِها

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] فأخبر تعالى أنَّها غرفٌ فوقَ غرفٍ، وأنَّها مبنيةٌ بناءً حقيقةً، لئلا تَتَوَهَّم النفوسُ أنَّ ذلك تمثيلٌ، وأن ليس هناك بناءٌ، بل تتصوَّر النفوسُ غرفًا مبينةً كالعَلالي، بعضها فوق بعض، حتى كأنها تنظرُ إليها عيانًا، ومبنيةٌ صفةٌ للغرفِ الأولى والثانية، أي: لهم منازلُ مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥] والغرفةُ جِنْسٌ كالجنةِ، وتأمَّل كيف جعل جزاءَهم - على هذه الأقوالِ المتضمَّنةِ للخضوعِ والذُّلِّ والاستكانةِ لله - الغرفَ والتحيةَ والسلامَ، في مقابلةِ صبرِهم على سوءِ خطابِ الجاهلينَ لهم، فَبُدِّلُوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ [الصف: ١٢].

وقال تعالى عن امرأةِ فرعونَ أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

* وفي الصحيحين[1] من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: "إن للمؤمن في الجنةِ لخيمةً من لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستون ميلاً، فيها أهلونَ يُطوفُ عليهم المؤمنُ، فلا يَرَى بعضُهم بعضًا".

* وفي الصحيحين[2] من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم أنَّ جبريل قال للنبي ﷺ: "هذه خديجةُ أقرئها السلامَ من رَبِّها. وأمره أنْ يُبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب".

والقصب ها هنا: قصب اللؤلؤ المجوف.

* وفي الصحيحين[3] لشابٍ عن أنس ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: "دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشابٍ من قريش، فظننتُ أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب".

* * *

في ذكر معرفتهم لمنازِلِهم ومساكِنهم إذا دخلوا الجنةَ وإنْ لَمْ يروها قبل ذلك

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤ – ٦] قال

---

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) البخاري (٥٢٢٦، ٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤).

مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكِنهم لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدِلُّون عليها أحدًا.

* وفي صحيح البخاري[1] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: "إذا خَلَصَ المؤمنونَ من النَّارِ حُبِسوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار، يتقاصُّون مظالم كانتْ بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنةِ، والذي نفسي بيده، إنَّ أحدَهم بمنزله في الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا".

* * *

في كيفية دخولِهم الجنةَ، وما يُستقبلون عند دخولها

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

* وفي الصحيحين[2] من حديث سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لَيدخُلنَّ الجنَّةَ من أمتي سبعونَ ألفًا، أو سبعمائة ألفٍ متماسكونَ، آخذٌ بعضُهم ببعضٍ، لا يَدخلُ أوّلُهم حتى يدخلَ آخرُهم، وجُوهُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ".

* * *

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٦٥٤٣)، ومسلم(٢١٩).

في ذكر صفةِ أهلِ الجنة في خَلْقِهم وخُلقِهم وطولِهم وعرضِهم ومقدارِ أسنانِهم

* عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ آدمَ على صورتِه، طولُه ستُّونَ ذِراعًا، فلمَّا خلقَهُ قال له: اذهبْ فسلِّم على أولئك النَّفرِ، وهم نَفرٌ مِنَ الملائكةِ جُلوسٌ، فاستمعْ ما يحيُّونَكَ، فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتك، قال: فذهبَ، فقال: السلامُ عليكُم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادوه ورحمة الله قال: فَكُلُّ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ على صُورةِ آدمَ وطولُه ستُّونَ ذراعًا، فلم يزلْ ينقصُ الخَلْقُ بعدَهُ حتَّى الآن"[1].

وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم.

* وفي الصحيحين[2] "أخلاقُهم على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صُورةِ أبيهم آدم عليه السلام: ستُّونَ ذِراعًا في السماءِ".

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين[3] من حديث أبي هريرة ﷺ "أوَّلُ زُمرةٍ تَلِجُ الجنةَ" الحديث وقد تقدَّم، وفيه: "لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم على قَلْبِ رجلٍ واحدٍ، يُسبِّحُون الله بُكْرَةً وعشيَّةً".

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب، أي في

---

(١) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٣) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

سِنٍ واحدةٍ، ليس فيهنَّ العجائزُ والشوائبُ، وفي هذا الطولِ والعرضِ والسِّنِّ من الحكمةِ ما لا يخفى، فإنه أبلغُ وأكملُ في استيفاء اللذاتِ؛ لأنه أكملُ سنِّ القوةِ مع عظمِ آلاتِ اللذةِ، وباجتماعِ الأمرين يكون كمالُ اللذةِ وقوَّتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء، ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال، وتناسب الخلقة يصير طولًا مع دقةٍ، أو غلظًا مع قِصَرٍ، وكلاهما غيرُ مناسبٍ، والله أعلم.

* * *

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلةً وأدناهم

وأعلاهم منزلةً سيِّد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال مجاهد وغيره: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ موسى، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ هو محمد ﷺ.

* وفي حديث الإسراء أنه ﷺ لما جاوز موسى قال: **"ربِّ لَمْ أظنَّ أنْ ترْفَعَ عليَّ أحدًا، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلَّا الله؛ حتى جاوز سدرة المنتهى"**[1].

* وفي صحيح مسلم[2] من حديث المغيرة بن شعبة عن النبيِّ ﷺ: **"إنَّ موسى سأَلَ ربَّهُ: ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟ فقال: رجلٌ يجيءُ بعدما دَخَلَ أهلُ**

---

(١) البخاري (٧٥١٧).

(٢) مسلم (١٨٩).

الجنةِ الجنةَ فيُقال له: ادخُلِ الجنةَ، فيقول: ربِّ كيف؟ وقد نزلَ الناسُ منازلَهم وأَخذُوا أخذاتِهِمْ؟ فيُقال له: أترضى أن يكونَ لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوكِ الدنيا فيقول: رضيتُ رَبِّ! فيقولُ: لَكَ ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه، فقال في الخامسة: رضيتُ رَبِّ! قال: ربِّ، فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذينَ أرَدْتُ، غَرَسْتُ كرامَتهم بيديَّ، وختمتُ عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ ولم تسمعْ أُذُنٌ ولم يَخْطُرْ على قلبِ بشرٍ".

* * *

في تحفة أهل الجنة إذا دخولها

* روى مسلم في صحيحه[1] من حديث ثَوْبان قال: كنتُ قائمًا عند رسولِ الله ﷺ فجاء حَبْرٌ من أحبارِ يهود، فقال: السلامُ عليك يا محمدُ، فدفعتُه دفعةً كاد يُصْرَعُ منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلتُ: أَلَا تقولُ يا رسولَ الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أهْلُهُ، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ اسمي محمدًا الذي سمَّاني به أهلي" فقال اليهودي: جئتُ أسألُك، فقال له رسولُ الله ﷺ: "أينفعُكَ بشيءٍ إن حدَّثْتُكَ" فقال: أسمع بأُذُنَيَّ، فنكَتَ رسولُ الله ﷺ بعود معه، فقال: "سَلْ" فقال اليهودي: أين يكونُ الناس يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "هم في الظُّلْمَةِ دونَ

(١) مسلم (٣١٥).

الجسرِ" قال: فَمَنْ أوَّلُ الناسِ إجازةً يومَ القيامةِ؟ قال: **"فقراءُ المهاجرينَ"** قال اليهودي: فما تحفتُهم حين يدخلونَ الجنةَ؟ قال: **"زِيادةُ كَبِدِ النُّونِ"** قال: فما غِذاؤُهم على إثْرِها؟ قال: **"يُنْحَرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكلُ من أطرافِها"** قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **"من عينٍ فيها تُسمَّى سلسبيلًا"** قال: صدقت، قال: وجئتُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهلِ الأرضِ إلاَّ نبيّ أو رجلٌ أو رجلان، قال: **"أينفعُكَ إنْ حدَّثْتُكَ"**؟ قال: أسمعُك بأذنيَّ، قال: جئتُ أسألُك عن الولد؟ قال: **"ماءُ الرجل أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فَعَلَا مَنِيُّ الرجلِ مَنِيَّ المرأةِ أَذْكَرَا بإذن الله تعالى، وإنْ عَلَا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجل آنَثَا بإذن الله تعالى** قال اليهوديُّ: لقد صدقتَ وإنك لنبيٌّ، ثم انصرفَ، فقال رسولُ الله ﷺ: **"لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه، حتى أتاني اللهُ عزَّ وجلَّ به"**.

* * *

في ذكرِ ريحِ الجنةِ، ومن مسيرةِ كم ينشقُّ

* **عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "من قتلَ قتيلاً من أهل الذِّمَّةِ لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليُوجدُ من مسيرةِ مائةِ عامٍ"[1].**

---

(١) المسند (٢/ ١٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* ورواه البخاري في الصحيح[1] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: "لَيوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عامًا".

* وقد أخرجا في الصحيحين[2] من حديث أنس قال: لم يشهدْ عمِّي الذي سُمِّيت به مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشقَّ عليه، قال: أوَّلُ مشهدٍ شَهِدَهُ رسولُ الله ﷺ غِبْتُ عنه، فإنْ أراني اللهُ مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني اللهُ ما أصنعُ، قال: فهابَ أن يقول غيرها، قال: فَشَهِدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ، قال: فاستقبلَ سعدَ بن معاذٍ، فقالَ لَهُ: أينَ؟ فقال: واهًا لريحِ الجنةِ، أجدُه دونَ أُحدٍ، قال: فقاتلَهم حتى قُتِلَ، قال: فوُجِدَ في جسدِهِ بِضْعٌ وثمانُونَ من بينِ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت أختُهُ، عَمّتي الربيع بنت النَّضْرِ: فما عرفتُ أخي إلا ببنانِهِ، ونزلت هذه الآية ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: فكانوا يرونَ أنها نزلتْ فيه وفي أصحابِهِ.

وريحُ الجنةِ نوعانِ: ريحٌ يُوجدُ في الدنيا تشمّه الأرواحُ أحيانًا لا تدركهُ العباد، وريحٌ يُدْرَكُ بحاسّةِ الشَّمِّ للأبدانِ، كما تُشَمُّ روائحُ الأزهارِ وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قُرْبٍ وبُعْدٍ، وأما في الدنيا فقد يدركه مَنْ شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس ابن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول، والله أعلم.

---

(١) البخاري (٣١٦٦).

(٢) البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣).

في الأذان الذي يؤذّن به مؤذّن الجنة فيها

* روى مسلم في صحيحه[1] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ينادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبأسُوا أبدًا" وذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* وفي الصحيحين[2] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنة، فيقولون: لبَّيكَ ربَّنا وسعْدَيْكَ، فيقولُ: هل رضيتُمْ؟ فيقولونَ: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ فيقولُ: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك؛ قالوا: رَبَّنا وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعدهُ أبدًا".

* * *

في أشجارِ الجنةِ وبساتِينِها وظلالِها

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٨] وهو جمعُ

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم(٢٨٢٩).

فنن، وهو الغصن. وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

* **وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يقطعُها فاقرؤوا إن شئتم** ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠].

* **وفي الصحيحين[2] عن سهل بن سعد ﷺ،** عن رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها مائة عام لا يقطعُها".**

* **وفي جامع الترمذي[3] عن أبي هريرة ﷺ** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"ما في الجنة شجرةٌ إلاَّ وساقُها من ذهبٍ".** قال: هذا حديث حسنٌ.

* **وعن أبي هريرة ﷺ** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"يقولُ الله: أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بشرٍ، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] **وفي الجنة شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠] **وموضعُ سوطٍ من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥][4].

---

(١) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم(٢٨٢٦).

(٢) البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم(٢٨٢٧).

(٣) الترمذي (٢٥٢٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

(٤) الترمذي (٣٢٩٢)، وقال: حسن صحيح.

في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ [البقرة: ٢٥].

* وفي صحيح مسلم[١] عن جابر عن النبي ﷺ قال: **"عُرِضت عليَّ الجنَّةُ حتى لو تناولتُ منها قِطفًا أَخَذْتُهُ"**.

* وعن جابر ﷺ قال: بينما نحنُ في صلاة الظهر إذ تقدَّم رسولُ الله ﷺ فتقدَّمنا، ثم تناولَ شيئًا ليأخذه ثم تأخَّر، فلما قضى الصلاةَ قال له أُبيٌّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله صنعتَ اليومَ في صلاتِك شيئًا ما كنتَ تصنعُهُ؟ قال: **"إنه عُرضتْ عليَّ الجنَّةُ وما فيها من الزَّهْرةِ والنُّضْرةِ، فتناولتُ منها قِطْفًا من عِنَب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتُكم به لأكلَ منه مَنْ بينَ السماءِ والأرضِ لا يَنْقُصُونَه"**[٢].

* * *

في زرعِ الجنَّة

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يومًا يُحدِّثُ، وعنده رجلٌ من أهل

---

(١) مسلم (٩٠٤).

(٢) المسند (٣/ ٣٥٢ – ٣٥٣) مطولًا.

البادية: "إنَّ رجلاً من أهلِ الجنةِ استأذَنَ ربَّه عزَّ وجلَّ في الزَّرْعِ، فقال له: أولستَ فيما شئتَ؟ فقال: بلى، ولكني أُحبُّ أَنْ أزرعَ، فأسرعَ وبَذرَ فبادرَ الطَّرفَ نباتُه واستواؤُهُ واستحصادُه وتكويرُهُ أمثالَ الجبالِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: دونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنه لا يشبعُكَ شيءٌ" فقال الأعرابيُّ: يا رسولَ الله لا تجدُ هذا إلَّا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحابُ زرعٍ، فأمَّا نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ، فضحك رسولُ الله ﷺ"[1].

وهذا يدلُّ على أنَّ في الجنة زرعًا.

* * *

في ذكر أنهارِ الجنةِ، وعيونِها، وأصنافِها، ومجراها الذي تجري عليه

قد تكرَّر في القرآنِ في عدَّة مواضع قوله: ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي موضعٍ: ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وفي موضعٍ: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وهذا يدلُّ على أمورٍ:

- **أحدها**: وجودُ الأنهارِ فيها حقيقةً.
- **الثاني**: أنها جاريةٌ لا واقفةٌ.
- **الثالث**: أنها تحت غُرَفِهم وقُصُورِهم وبساتينِهم، كما هو المعهود في أنهارِ الدنيا.

وأنهارُ الجنة تتفجَّر من أعلاها، ثُمَّ تنحدر نازلةً إلى أقصى درجاتها،

---

(١) البخاري (٧٥١٩) و(٢٣٤٨).

كما روى البخاري في صحيحه[1] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله عزَّ وجلَّ للمجاهدينَ في سبيلِه، بين كل درجتين كما بين السماءِ والأرضِ، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوه الفردوسَ، فإنه وسَطُ الجنةِ، وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّر أنهارُ الجنةِ".

* وفي صحيحه[2] عن قتادة عن أنس ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "بينَا أنا أسيرُ في الجنةِ إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قِبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، قال: فضربَ الملكُ بيده فإذا طينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ".

* وفي صحيح مسلم[3] عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الكوثرُ نهرٌ في الجنة وَعَدَنِيهِ ربي عزَّ وجلَّ".

* وفي صحيحه[4] من حديث أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: "سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والفراتُ والنِّيلُ كُلٌّ من أنهارِ الجنَّةِ".

وأما العيون فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ – ٦] قالَ بعضُ

---

(١) البخاري (٢٧٩٠).

(٢) البخاري (٦٥٨١).

(٣) مسلم (٤٠٠).

(٤) مسلم (٢٨٣٩).

السَّلَفِ: معهم قضبانُ الذهبِ حَيْثُما مالُوا مالَتْ معهُم.

وقال تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨] فأخبرَ سبحانه عن العينِ التي يَشْرَبُ بها المقرَّبون صرفًا، أنَّ شرابَ الأبرارِ يُمْزَجُ منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأعمالَ كُلَّها لله فَأُخْلِصَ شَرَابُهم، وهؤلاء مَزَجُوا فَمُزِجَ شرابُهم.

* * *

في ذكرِ طعامِ أهلِ الجنةِ وشرابِهم ومصرفِهِ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣] وقَال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢ - ٧٣] وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٥ - ٢٦].

* وفي صحيح مسلم(1) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يأكل أهلُ الجنَّة وَيَشْرَبُون، ولا يَمْتَخِطُون، ولا يتغوَّطونَ، ولا يبولونَ، طعامُهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلْهَمُون التسبيحَ والتكبيرَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ".

* وفي المسند وسنن النسائي(2) بإسناد صحيح على شرط الصحيح عن زيدِ ابنِ أرقمِ قال: جاءَ رجلٌ من أهلِ الكتابِ إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ ويشربونَ؟ قال: "نعم والذي نفس محمدٍ بيده، إن أحدَهم ليُعطى قُوَّة مائة رجلٍ في الأكل والشُّربِ والجماعِ والشَّهوةِ" قال: فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكون له الحاجةُ وليس في الجنةِ أذى، قال: "تكون حاجةُ أحدِهم رَشْحًا يفيضُ من جلودِهم كرَشْحِ المسكِ فَيضْمُرُ بطنُهُ".

* * *

في ذكرِ آنيتِهم التي يأكلونَ فيها ويشربونَ وأجناسها وصفاتها

قال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧ – ١٨].

* وفي الصحيحين(3) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "جنتانِ من ذهبٍ، آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من فِضَّةٍ، أنيتُهما وما

(١) مسلم (٢٨٣٥).

(٢) المسند (٤/ ٣٦٧، ٣٧١).

(٣) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨٠)، ومسلم (١٨٠).

فيهما، وما بينَ القوم وبين أن ينظُروا إلى ربهم إلَّا رداءُ الكبرياءِ على وجهِه في جنَّة عَدْنٍ".

* وفيهما أيضًا[1] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ أوَّلَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنَّةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والذين يَلونَهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيّ في السماء إضاءةً، لا يبولونَ ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخِطُونَ ولا يَتفلونَ، أمشاطُهم الذَّهبُ، ورَشْحُهُمُ المسكُ، ومجامِرُهُم الألوَّةُ، وأزواجهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم على خَلْقِ رَجُلٍ واحد، على صورةِ أبيهم آدم عليه السلام سِتُّون ذِرَاعًا في السماء".

* وفي الصحيحين[2] من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "لا تشربوا في آنيةِ الذَّهبِ والفضةِ، ولا تأكلُوا في صِحافِهِما، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرةِ".

* * *

في ذكرِ لباسِهم وحُلِّيهِم ومناديلهم وفُرُشِهم وبُسُطِهم ووسائدِهم ونمارِقِهم وزرابِيهم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٣] وَقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً

---

(١) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

﴿٣٠﴾ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣٠ – ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، وقال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

* **وفي صحيح مسلم**(١) **عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة ينعمُ ولا يبأسُ، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابُه، له في الجنةِ ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ".**

* **وفي الصحيحين**(٢) **عن أنس بن مالك قال:** أهدى **أُكَيْدَرُ دُومَةَ [الجندل]** إلى النبي ﷺ جُبَّةً من سُنْدُس، فتعجَّب النَّاسُ من حُسنِها، فقال: **"لمناديلُ سَعْدٍ في الجنةِ أحسنُ من هذا".**

ولا يَخفَى ما في ذكرِ سعدِ بن معاذٍ بخصوصِه ها هنا، فإنه كان في الأنصارِ بمنزلة الصِّدِّيقِ في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرشُ، وكان لا تأخذه في الله لَوْمَةُ لائِمٍ، وختمَ اللهُ له بالشهادةِ، وآثرَ رِضَا الله ورسوله على رضا قومِه وعشيرتِه وحلفائِه، ووافق حُكْمُه الذي حَكَمَ به حُكْمَ الله فوق سبع سماواتِه، ونعَاهُ جبريلُ إلى النبي ﷺ يومَ موتِه، فَحُقَّ له أنْ تكون مناديلُه التي يمسح بها يديه في الجنةِ أحسنَ من حُلَلِ الملوك.

وأمَّا الفُرُشُ فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ

---

(١) مسلم (٢٨٣٦).

(٢) البخاري (٦٦٤٠)، ومسلم (٢٤٦٨).

إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

وأمَّا البُسُط والزَّرَابي، فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٦].

وأما الرفرف، فقال الليث: هو ضَرْبٌ من الثيابِ خضر تُبسط.

وأما العبقري، فقال أبو عبيدة: كُلُّ شيءٍ من البُسُطِ عَبْقَرِيٌّ.

وعبقري جمعٌ، واحدُه عبقرية، ولهذا وصف بالجمع، فتأمل كيف وصفَ اللهُ سبحانه وتعالى الفُرُشَ بأنها مرفوعةٌ، والزَّرَابيَّ بأنها مبثوثةٌ، والنمارقَ بأنها مصفوفةٌ، فَرَفْعُ الفُرُشِ دالٌّ على سُمْكِها ولِينِها، وبثُّ الزَّرابي دالٌّ على كثرتِها، وأنها في كُلِّ موضعٍ لا يَخْتصُّ بها صدرَ المجلسِ دون مؤخرِه وجوانبِه، وصفُّ المسانِدِ يدلُّ على أنها مهيَّأةٌ للاستناد إليها دائمًا، ليست مخبأةً تُصَفُّ في وقتٍ دونَ وقتٍ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

في ذكرِ خيامِهم وسررِهم وأرائكِهم

قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وفي الصحيحين[1] من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **"إنَّ للمؤمنِ في الجنةِ لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستُّونَ ميلاً، فيها**

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم(٢٨٣٨).

أهلونَ يطوفُ عليهم المؤمنُ فلا يرى بعضُهم بعضًا".

وفي لفظ لهما "في الجنة خيمةٌ من لؤلؤة مُجَوَّفة عرضها ستُّون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن"[1].

وأما السرر فقال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الواقعة: ١٣ – ١٦] وقال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣].

وأما الأرائك: فهي جمعُ أَرِيكَةٍ، قال مجاهد عن ابن عباس ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكةٌ حتى يكون السريرُ في الحِجَلةِ، فإذا كان سريرًا بغير حِجَلَةٍ لا يكون أريكةً، وإن كانت حجَلَةٌ بغير سريرٍ لم تكن أريكةً، ولا تكونُ أريكةً إلا والسريرُ في الحِجَلَةِ، فإذا اجتمعا كانت أريكةً.

* * *

في ذكرِ خَدَمِهم وغِلْمَانِهم

قال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٧ – ١٨] وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩].

---

(١) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).

* وَعن أبي سعيد قال: قال رسولَ الله ﷺ «مَنْ ماتَ من أهل الجنة من صغيرٍ أو كبيرٍ يُرَدُّونَ بَنيَّ ثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهلُ النار»[1].

والأشبه أنَّ هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدمًا لهم وغلمانًا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: ٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإنَّ من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعلَ أولادهم مخدومين معهم، ولا يجعلهم غلمانًا لهم.

* وفي حديث أنس عن النبي ﷺ: "أنا أوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إذا بُعِثُوا" وفيه "يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهم لؤلؤٌ مكنُون[2]" والمكنونُ: المستورُ المصونُ الذي لم تبتذله الأيادي، وإذا تأملت لفظةَ الولدانِ، ولفظةَ ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾، واعتبرتها بقوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ﴾، وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفًا علمتَ أَنَّ الولدانَ: غلمانٌ أنشأهم الربُّ تعالى في الجنةِ خَدَمًا لأهلها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

في ذكرِ نسائِهم وسرارِيهم وأصنافِهنّ وحسنِهنَّ وصفاتِهنَّ وجمالِهنَّ الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى

---

(١) الترمذي (٢٥٦٢)، وقال: حديث غريب.

(٢) الترمذي (٣٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] فتأمل جلالةَ المبشِّرِ، ومنزلتَهُ، وصِدْقَهُ، وعظمةَ مَنْ أرسلَه إليكَ بهذهِ البشارةِ، وقَدْرَ ما بَشَّركَ به، وضَمِنَهُ لك على أسهلِ شيءٍ عليك، وأيسره.

وجمعَ سبحانَهُ في هذه البشارةِ بينَ نعيمِ البدنِ بالجنانِ، وما فيها مِنَ الأنهارِ والثمارِ، ونعيمِ النفسِ بالأزواجِ المطهَّرةِ، ونعيمِ القلبِ وقرَّةِ العينِ بمعرفةِ دوامِ هذا العيشِ أبدَ الآبادِ، وعدمِ انقطاعِه.

والأزواجُ: جمعُ زوجٍ، والمرأةُ زوجُ الرجلِ وهو زوجها، هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٦] فجمع لهم بين حُسْنِ المنزلِ وحصولِ الأمنِ فيه من كلِّ مكروهٍ، واشتمالِه على الثمارِ والأنهارِ، وحسنِ اللباسِ، وكمالِ العشرةِ؛ لمقابلةِ بعضِهم بعضًا، وتمامِ اللّذَّةِ بالحورِ العينِ، ودعائِهم بجميعِ أنواعِ الفاكهةِ، مع أمنِهم من انقطاعِها ومضرتِها وغائلتِها، وختامَ ذلك أعلَمَهم بأنهم لا يذوقونَ فيها هناك موتًا.

والحورُ: جَمْعُ حَوْرَاء، وهي المرأةُ الشابّةُ، الحسناءُ، الجميلةُ، البيضاءُ،

شديدةُ سوادِ العينِ.

وقوله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤] قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجًا كما يُزَوَّجُ النعلُ بالنعلِ، جعلناهم اثنين اثنين.

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٦ –٥٨].

وقال تعالى في وصفهن: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢] المقصوراتُ: المحبوساتُ.

قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٣٥- ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ –٣٣] فالكواعبُ: جَمْعُ كاعبٍ، وهي الناهِدُ.

* وروى البخاري في صحيحه[1] عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لَغَدْوةٌ في سبيلِ الله أَو رَوْحةٌ خيرٌ من الدُّنيا ومَا فيها، ولقَابُ قوسِ أحدِكُم، أو موضعُ قيدِه –يعني سوطه- من الجنةِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولو اطَّلَعَت امرأةٌ من نساءِ أهلِ الجنَّةِ إلى الأرضِ لملأتْ ما بينهما ريحًا، ولأضاءتْ ما بينهما، ولنَصِيفُها على رأسها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها".

---

(١) البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (١٨٨٠).

* **وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ "إنَّ أوَّلَ زمرةٍ تَدْخُلُ الجنَّةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها على أضوأِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ ولكلِّ امرئٍ منهم زوجتان، يُرى مُخُّ سوقهما من وراءِ اللحمِ، وما في الجنة أعزب".**

ولا ريبَ أنَّ للمؤمنِ في الجنةِ أكثرَ مِنَ اثنتينِ، لما في الصحيحين[2] من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **"إنَّ للعبدِ المؤمنِ في الجنةِ لخيمةً مِنْ لُؤْلُؤةٍ مجوَّفةٍ طولُها ستونَ ميلًا، للعبد المؤمن فيها أهلون، يطوفُ عليهم لا يرى بعضهم بعضًا".**

* * *

في ذكرِ نكاحِ أهلِ الجنةِ ووطئِهم والتذاذِهم بذلك أكمل لذَّة، ونزاهةِ ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنه لا يُوجِبُ غُسْلاً

* في حديث أبي موسى المتَّفق على صحته[3]: **"إنَّ للمؤمن في الجنة خيمةً من لؤلؤة واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستُّون ميلًا، له فيها أهلون يطوفُ عليهم".**

* وحديث أنس: **"يُعطى المؤمنُ في الجنة قُوَّة كذا وكذا من النساءِ"**[4].

---

(١) البخاري (٣٢٤٥) و(٣٢٤٦) و(٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم(٢٨٣٨).

(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) الترمذي (٢٥٣٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

* وروى الحاكم: عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قال: شَغَلَهُم افتضاضُ الأبكارِ.

وأكملُ الناسِ فيه أصونُهم لنفسه في هذه الدار عن الحرامِ، فكما أن مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا لم يشربها في الآخرةِ، ومن لَبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يَلْبَسْه في الآخرةِ، ومَنْ أَكَلَ في صحافِ الذهبِ والفضةِ في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرةِ كما قال النبي ﷺ: "إنَّها لَهُم في الدُّنيا ولكُم في الآخرةِ"[1].

فَمَنْ اسْتَوفى طيِّباتِه ولذَّاتِه وأذهبَهَا في هذه الدارِ حُرِمَها هناك، كما نَعَى سبحانه وتعالى على مَنْ أذهبَ طيباتِه في الدنيا واستمتعَ بها، ولهذا كان الصحابةُ ومَنْ تَبِعَهُم يخافونَ من ذلك أشدَّ الخوفِ.

ومن ترك اللَّذَّة المحرَّمة لله استوفاها يوم القيامةِ أكملَ ما تكونُ، ومَنِ استوفاها هنا حُرِمَها هناك أو نَقُصَ كمالُها، فلا يجعلُ الله لذَّةَ من أوضع في معاصيه ومحارمه، كلذَّةِ مَنْ تركَ شهوتَهُ لله أبدًا.

* * *

في ذكر سماعِ الجنة، وغناءِ الحورِ العينِ، وما فيه من الطَّرَبِ واللذَّةِ

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٤ – ١٥].

---

(١) البخاري (٥٨٣١).

عن عامر بن يساف، قال: سألتُ يحيى بن أبي كثير عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥] قال: الحَبْرَةُ: اللَّذَّةُ والسماع.

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يُكرمون.

وقال: مجاهد وقتادة: يُنَعَّمون.

فلذَّة الأُذُنِ بالسماعِ من الحَبْرَةِ والنَّعيم.

* وعن ابن عمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ أزواجَ أهلِ الجنة ليغنينَ أزواجهنَّ بأحسنِ أصواتٍ ما سمِعَها أحدٌ قطّ، إنَّ مِمَّا يغنين به: نحنُ الخيراتُ الحِسَانُ، أزواجُ قومٍ كرامٍ، ينظرون بقرّة أعينٍ، وإنَّ ممَّا يُغَنِّينَ به: نحنُ الخالداتُ فلا يَمُتْنَه، نحن الآمناتُ فلا يَخَفْنه، نحنُ المقيماتُ فلا يَظْعَنَّه"[1].

ولهم سماعٌ أعلى من هذا، يَضْمَحِلُّ دونه كُلُّ سماعٍ، وذلك حين يسمعونَ كلامَ الرَّبِّ جلَّ جلالُه، وخطابَه، وسلامَه عليهم، ومحاضرتَه لهم، ويقرأ عليهم كلامَهُ، فإذا سمعُوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمرُّ بك - أيها السنيّ - من الأحاديثِ الصِّحاحِ والحِسانِ في ذلك ما هو من أحبّ سماعٍ لك في الدنيا، وألذّ لأذنك، وأقرّ لعينك، إذ ليس في الجنة لذَّة أعظم من النظرِ إلى وجهِ الرَّبِّ تعالى وسماع كلامه منه، ولا يُعطى أهلُ الجنة شيئًا أحبّ إليهم من ذلك.

* * *

(١) الطبراني في الصغير (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، وقال الهيثمي في المجتمع (١٠/ ٤١٩)، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

في ذكر مطايا أهلِ الجنةِ وخيولِهم ومراكِبهم

* عن سليمان بن يزيد، عن أبيه أنَّ رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! هل في الجنةِ من خيلٍ؟ قال: "إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الجنَّةَ، فلا تَشَاءُ أن تُحْمَلَ فيها على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ يطيرُ بك في الجنة حيثُ شئتَ" قال: وسأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله هل في الجنةِ من إبلٍ؟ قال: فَلَمْ يَقُل ما قالَ لصاحبِه، قال: "إنْ أدخلَك اللهُ الجنَّةَ يكنْ لكَ فيها ما اشتَهتْ نفسُكَ ولذَّتْ عينُك".

وعن عبد الله بن عمرو قال: في الجنة عتاقُ الخيل وكرائمُ النجائب يركبها أهلها[1].

* * *

في زيارةِ أهلِ الجنةِ بعضِهم بعضًا، وتذاكرِهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٠ – ٥٧] أخبر سُبحانه وتعالى أنَّ أهلَ الجنة أقبلَ بعضُهم على بعضٍ

---

(١) عتاق الخيل: جمع عتيق، وهو الكريم الرائع.

"النجائب": جمع نجيبة ونجيب، وهو الكريم الأصيل من كل حيوان.

يتحدَّثُونَ، ويسألُ بعضُهم بعضًا عن أحوالٍ كانت في الدنيا، فأفضتْ المحادثةُ والمذاكرةُ إلى أنْ قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا يُنكِرُ البعثَ والدَّارَ الآخرة، ويقولُ ما حكاهُ اللهُ عنه، يقول: ﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ بأنَّا نُبعث، ونُجازَى بأعمالنا، ونُحاسَبُ بها بعد أن مَزَّقَنا البِلَى ﴿ وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا ﴾؟ ثم يقول المؤمنُ لإخوانه في الجنةِ ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ في النارِ لننظُرَ منزلةَ قريني هذا وما صار إليه، هذا أظهرُ الأقوال.

* * *

في ذكر سوقِ الجنة، وما أعدَّ اللهُ فيه لأهلِها

* قال مسلم في صحيحه[1] عن أنس بن مالك، أنَّ النبي ﷺ قال: "إنَّ في الجنة لسوقًا، يأتُونها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمال فَتَحْثُو في وجوهِهم وثيابِهم، فيزدادون حُسْنًا وجمالًا، فيرجعونَ إلى أهليهم وقد ازدادوا حُسْنًا وجمالًا، فيقولُ لهم أهلوهم: واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا، فيقولون: واللهِ وأنتم لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا".

* وروى الإمامُ أحمدُ في مسندِه عن عفَّانَ، عن حمّاد بن سلمة به، وقال: "فيها كثبانُ المسكِ، فإذا خرجوا إليها هبَّتِ الرِّيحُ".

* * *

(١) مسلم (٢٨٣٣).

في ذكر زيارةِ أهلِ الجَنَّةِ ربِّهم تبارك وتعالى

* عن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريلُ بمرآةٍ بيضاءَ فيها وكْتَةٌ[1] إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "ما هذه"؟ قال: الجمعة فُضِّلْتَ بها أنت وأمَّتُك، فالناسُ لكم فيها تبعٌ، اليهودُ والنصارى، ولكم فيها خيرٌ، وفيها ساعةٌ لا يوافقها مؤمنٌ يدعو الله بخيرٍ إلاَّ اسْتُجيبَ له، وهو عندنا يوم المزيدِ، قال النبيُّ ﷺ: "يا جبريلُ وما يومُ المزيد؟" قال: إنَّ ربك اتَّخذَ في الفردوسِ واديًا أَفْيحَ، فيه كُثُب المسكِ، فإذا كان يومُ القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته، وحوله منابرُ من نورٍ عليها مقاعدُ النَّبيِّين، وحفَّ تلك المنابرَ بمنابرَ من ذهبٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوتِ والزبرجدِ، عليها الشُّهداء والصِّدِّيقون، فجلسوا من ورائِهم على تلك الكُثُبِ، فيقول الله تعالى: أنا ربُّكم، قد صدَّقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون؛ ربنا نسألُك رضوانك، فيقول: قد رضيتُ عنكم ولكم عليَّ ما تمنَّيتم، ولديّ مزيد، فهم يحبون يومَ الجمعةِ لما يعطيهم فيه ربُّهم من الخيرِ، وهو اليومُ الذي استوى فيه ربُّكم على العرش، وفيه خَلَقَ آدمَ عليه الصلاة والسلام، وفيه تقومُ السَّاعةُ"[2].

* * *

---

(١) الوكْتَةُ: هي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لون.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده (٣٧٤) بترتيب السندي.

في ذكرِ مُلكِ الجنةِ وأنَّ أهلَها كلّهم ملوكٌ فيها

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠].

وفي صحيح مسلم[1] من حديثِ المغيرةِ بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: "سأل مُوسى ربَّه: ما أدنى أهلِ الجَنَّةِ منزلةً؟ قال: هو رَجُلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهلُ الجنةِ الجنَّة فيُقالُ له: ادْخُلِ الجنةَ، فيقول: أيْ ربِّ كيفَ وقد نَزَلَ النَّاسُ منازِلَـهُمْ وأخذوا أَخَذَاتِهِم؟ فيُقال له: أترضى أن يكونَ لك مِثْلُ مُلْكِ ملكٍ من ملوكِ الدُّنيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لَكَ ذلك ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لك وعَشَرَةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك ولذَّتْ عينُك، فيقولُ: رضيتُ ربِّ".

* * *

في أن الجنةَ فوق ما يخطرُ بالبالِ أو يدور في الخيالِ، وأنَّ موضعَ سوطٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧] وتأمَّل كيف قابلَ ما أخفوْهُ من قيامِ الليلِ بالجزاءِ الذي أخفاهُ لهم مما لا تعلمُه نفسٌ، وكيف قابلَ قَلَقَهم

---

(١) مسلم (١٨٩).

وخوفَهم واضطرَابهم على مضاجعِهم حين يقوموا إلى صلاةِ الليلِ بِقُرَّةِ الأعينِ في الجنةِ.

* وفي الصحيحين[1] من حديثِ أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "قال اللهُ عزَّ وجلَّ: أعددتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ، مصداق ذلك في كتابِ الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

* وفيهما[2] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مما طلعتْ عليه الشَّمْسُ أو تغربُ".

* وفي حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: "ألا مُشَمِّرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنَّةَ لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأُ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطَّردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حَسْنَاءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبدٍ في دارٍ سليمةٍ وفاكهةٍ وخُضْرةٍ وحَبْرةٍ ونَعْمَةٍ ومَحلَّةٍ عاليةٍ بَهيَّةٍ"[3].

فحيّ علـى جنـاتِ عَدْنٍ فإنَّها ... منازلُك الأُولَـى وفيها المخيَّمُ
ولكنَّنا سبيُ العدوِ، فهل ترى ... نَعـودُ إلـى أوْطَانِنَا ونسلمُ؟!

* * *

---

(١) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) البخاري (٢٧٩٣)، ومسلم (١٨٨٢).

(٣) ابن ماجه (٤٣٣٢).

في رؤيتهم ربّهم تبارك وتعالى وتجلّيه لهم ضاحكًا إليهم

* في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "هل تُضَارُّون في رؤية الشمسِ ليس دونها سحابٌ"؟ قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونه كذلك، يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ مَنْ كان يعبدُ شيئًا فليتبعه، فيتبعُ من كان يعبدُ الشَّمسَ الشمسَ، ويتبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأُمَّةُ فيها شافعوها أو منافقوها، فيأتيهم الله تعالى في صورةٍ غير صورتِه التي يعرفونَ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ في صورتِه التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنتَ ربُّنا فيتبعونه، ويُضْرَبُ الصِّراطُ بين ظهراني جهنَّم فأكونُ أنا وأمتي أوَّلَ مَنْ يُجيز، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلَّا الرُّسُلُ، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم.

"وفي جهنَّم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ، هل رأيتم السَّعدانَ"؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنَّها مثلُ شوكِ السعدانِ، غير أنه لا يعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله عزَّ وجلَّ، تخطفُ الناس بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، ومنهم المخردل أو المجازَى، حتى ينجو».

فإذا فرغَ اللهُ من القضاءِ بين العبادِ، وأراد أن يُخرِجَ برحمته مَنْ أراد من أهل

---

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

النار أَمَرَ الملائكةَ أن يُخْرِجُوا من النارِ من كان لا يشرك بالله شيئًا ممَّن أرادَ اللهُ أن يرحمه ممن يقول لا إله إلَّا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكلُ النَّارُ من ابن آدم إلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حرَّم الله على النارِ أن تأكلَ أثرَ السُّجودِ، فيخرجون من النار، قد امتُحِشُوا فَيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فينبتونَ كما تنبت الحبّةُ في حَميل السَّيْل.

ثم يَفرغُ اللهُ من القضاءِ بين العبادِ، ويبقى رجلٌ مُقبلٌ بوجهه على النارِ، وهو آخرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنةَ، فيقول: أي ربِّ اصرفْ وجهي عن النار، فإنه قد قَشَبَني ريحُها، وأحرقني ذكاؤُها، فيدعو اللهَ ما شاءَ أن يدعوَه، ثم يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: هل عسيتَ إِنْ فعلتُ ذلك أن تسألَ غيرَه، فيقول: لا أسألُك غيره، فيُعطي ربَّه من عهودٍ ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهَه عن النار، فإذا أقبلَ على الجنة ورآها سكت ما شاء اللهُ أن يسكتَ، ثم يقول: أي ربِّ قدِّمني إلى بابِ الجنةِ، فيقول اللهُ أليس قد أعطيتَ عهودكَ ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتُك؟ ويلك يا ابنَ آدَم ما أغْدَرك!! فيقول: أي ربِّ فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيتَ إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك، فَيُعْطِي ربَّه ما شاء من عهودٍ ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على بابِ الجنةِ انفَهَقَت له الجنةُ، فرأى ما فيها من الخيرِ والسرورِ، فسكت ما شاءَ الله أن يسكتَ، ثم يقولُ: أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقَك أَنْ لا تسألَني غير ما أعطيت، ويلكَ يا ابن آدم ما

أغدرك؟ فيقول: أي ربِّ لا أكون أشقى خلقِك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحكَ الله منه، فإذا ضحكَ اللهُ منه قال: ادخل الجنَّةَ، فإذا دخلها قال الله له: تمنَّ، فيسأل ربَّه ويتمنى حتى إن الله ليذكِّره، فيقول: تمنَّ كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عزَّ وجلَّ: ذلك لك ومثله معه".

قال أبو هريرة: "وذلك الرجلُ آخرُ أهلِ الجنةِ دخولًا الجنةَ".

* وعن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: "إنَّكم سترونَ ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامُّون في رؤيتِه، فإنِ استطعتم أَنْ لَا تُغلبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ الغروبِ فافعلوا" ثم قرأ قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][1].

* * *

في تكليمه سبحانه لأهل الجنة، وخطابه لهم، ومحاضرته إيَّاهم، وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]. وقال في حقِّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ اللهُ مِنَ البيناتِ والهدى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وقد أخبرَ سبحانه أنه يُسلِّم على أهلِ الجنةِ وأنَّ ذلك السلامَ حقيقةٌ، وهو قولٌ من ربٍّ رحيمٍ.

* **وفي حديثِ أبي هريرة** في سوق الجنة وهو قول النبي ﷺ: **"ولا يبقى أحدٌ في ذلك المجلسِ إلَّا حاضَرَهُ اللهُ محاضرةً، فيقول: يا فلانُ أتذكرُ يومَ فعلتَ كذا وكذا"**[1]. الحديث.

وبالجملة فتأمَّل أحاديثَ الرؤية تجدْ في أكثرها ذكر التكليم.

قال البخاري في صحيحه باب: "كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة"، وساق فيه عدة أحاديث: فأفضلُ نعيمِ أهلِ الجنة رؤيُة وجهِهِ تباركَ وتعالى وتكليمُهِ لهم.

* * *

في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يُعلمُ بالاضطرارِ أن الرسولَ ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي مقطوعٌ.

وقد أكَّدَ الله سُبحانه خلودَ أهلِ الجنةِ بالتأبيد في عِدَّةِ مواضع من القرآنِ، وأخبرَ أنهم لا يذوقون فيها الموتَ إلَّا الموتةَ الأولى وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تبيَّن لك

---

(١) الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦).

المراد من الآيتين واستثناء الوقتِ الذي لم يكونوا فيه في الجنةِ من مدةِ الخلودِ كاستثناءِ الموتةِ الأولى من جملةِ الموتِ، فهذه موتةٌ تَقدَّمت على حياتِهم الأبديةِ وذاك مفارقةٌ للجنَّة تقدَّم على خلودهِم فيها وبالله التوفيق.

* وفي قولِ النبيِّ ﷺ "مَنْ يَدْخُلِ الجنةَ يَنْعَمُ ولا يَيأَس، ويَخلدُ ولا يموت"[1] وقوله: "يُنادي مناد: يا أهلَ الجنةِ: إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا"[2].

* وثبت في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: "يُجاء بالموتِ في صُورةِ كبشٍ أمْلَحَ، فيُوقفُ بين الجنةِ والنارِ، ثم يُقال: يا أهلَ الجنَّة فيطَّلعونَ مشفقينَ، ويُقالُ: يا أهلَ النَّارِ فيطَّلعونَ فرحِينَ، فيُقالُ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيُذبحُ بين الجنةِ والنارِ، ثم يقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موت".

* * *

في ذكرِ آخرِ أهلِ الجنةِ دخولاً إليها

* في الصحيحين[4] من حديث عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنِّي لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خُروجًا منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دُخُولًا الجنة، رجلٌ

---

(١) مسلم (٢٨٣٦).

(٢) مسلم (٢٨٣٦).

(٣) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٤) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

يَخْرُجُ من النارِ حَبْوًا، فيقول الله له: اذْهَبْ فادخلِ الجنة، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول الله له: اذهبْ فادخلِ الجنة، قال: فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول الله له: اذهبْ فادخلِ الجنَّة فإنَّ لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالها، أو إنَّ لك عشرةَ أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي وتضحكُ بي وأنت المِلكُ؟" قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يضحكُ حتى بدت نواجذُه، قال: فكان يقول: "ذلك أَدْنَى أهلِ الجنةِ منزلةً".

* وفي صحيح مسلم[1] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعلمُ آخرَ أهلِ الجنةِ دُخولًا الجنةَ، وآخرَ أهلِ النارِ خُروجًا منها، رجلٌ يُؤْتَى به يومَ القيامةِ فيُقال: اعْرِضُوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا عنه كِبَارها، فَتُعْرَضُ عليه صِغَارُ ذنوبِه فيقال: عَمِلْتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعَمِلْتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيعُ أن يُنْكِرَ، وهو مُشْفِقٌ من كِبارِ ذنوبِه أن تُعْرَضَ عليه، فيقال له: فإنَّ لك مكانَ كُلِّ سيئةٍ حَسَنةً، فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياء لا أَرَاها هاهنا"! فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ".

* وفي صحيح مسلم[2] من حديث المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً؟ فقال: هو رَجُلٌ يجيءُ بعد ما أُدْخِلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّة فيُقال له: ادْخُلِ الجنة، فيقول: أيْ ربِّ كيف؟ وقد نزل

(١) مسلم (١٩٠).
(٢) مسلم (١٨٩).

الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكونَ لك مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوكِ الدُّنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيُقال: ذلك لك ومِثْلُه ومثله ومثلُه ومثلُه ومثلُه فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: لك هذا وعَشَرَةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولذَّت عينُك، فيقول: رضيتُ ربِّ قال: فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الذي أَرَدْتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تسمعْ أُذُن، ولم يَخْطُرْ على قلبِ بشرٍ» ومصداقُه في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

* * *

فصول منثورة لم تُذْكَرْ فيما تقدَّم

(فصل)

في أن الجنةَ يبقى فيها فضلٌ، فيُنشئُ اللهُ لها خَلْقًا دونَ النارِ:

في الصحيحين[1] عن أنس بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَزَالُ جهَنَّمُ يُلْقَى فيها وتقولُ: هل من مزيدٍ، حتى يضعَ ربُّ العزةِ فيها قَدَمَهُ، فينزوي بعضُها إلى بعضٍ، وتقول قَطْ قَطْ، بعزَّتك وكرمك، ولا يزالُ في الجنة فضلٌ حتَّى يُنشىءُ اللهُ لها خَلْقًا فَيُسْكِنَهم فَضْلَ الجنة».

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(فصل)

في امتناع النوم على أهل الجنة :

عن جابر قال: سُئِلَ نَبِيُّ الله ﷺ فقيل: أينامُ أهلُ الجنةِ؟ فقال النبي ﷺ: «النَّومُ أخو الموت وأهلُ الجنةِ لا ينامون»[1].

(فصل)

في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجةٍ إلى درجةٍ أعلى منها :

عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله ليرفعُ الدَّرجةَ للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أَنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفارِ ولدِك لك»[2].

(فصل)

في إلحاق ذُرِّيَّةِ المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [الطور: ٢١].

---

(١) أخرجه الديلمي مطولًا (٦٩٠٧) في الفردوس، والبزار (٣٥١٧) مختصرًا، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤١٥) ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) المسند (٢/ ٥٠٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح؛ غير عاصم بن بهدلة، وقد وُثِّق.

(فصل)

في أن الجنة تتكلَّم :

قد تقدَّم قوله ﷺ: «احتجت الجنة والنار»[1].

(فصل)

في أن الحورَ العينَ يَطْلُبْنَ أزواجهُنَّ أكثر مما يَطْلُبُهُنَّ أزواجهُنَّ :

في حديث معاذ بن جبل وقَولِ الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يُفارِقَكِ إلينا»[2].

* * *

في ذكر المستحقّ لهذه البشارة دون غيره

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ [البقرة: ٢٥] وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟

---

(١) البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦)، وقد تقدم.

(٢) الترمذي (١١٧٤)، والمسند (٥/ ٢٤٢)، وقال الترمذي: حسنٌ غريب.

رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [الشورى: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

*** وهذا في القرآنِ كثيرٌ، مقدارُه على ثلاثِ قواعدَ:**

إيمانٍ وتقوى وعملٍ خالصٍ لله على موافقةِ السنةِ.

فأهلُ هذه الأصولِ الثلاثةِ هم أهلُ البشرى دون مَنْ عداهم مِنْ سائرِ الخلقِ، وعليها دارت بشاراتُ القرآنِ والسنةِ جميعها، وهي تجتمعُ في أصلين:

إخلاصٍ في طاعةِ الله.

إحسانٍ إلى خلقه.

وضدّها يجتمعُ في الذين يُراؤون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلةٍ واحدةٍ وهي موافقةُ الربِّ تبارك وتعالى في محابِّه، ولا طريق إلى ذلك إلَّا

بتحقيقِ القدوةِ ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.

وأما الأعمالُ التي هي تفاصيل هذا الأصل: فهي بضعٌ وسبعونَ شعبة، أعلاها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديقُ الرسولِ في كل ما أخبرَ به، وطاعتُه في جميعِ ما أمرَ به إيجابًا واستحبابًا؛ كالإيمان بأسماء الرَّبِّ وصفاتِه وأفعالِه وآياتِه من غيرِ تحريفٍ لها ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، كما قال الشافعي رحمه الله: الحمدُ لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه.

* * *

(**فصل**)

الخاتمة

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأنا به أولًا، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس: ٩ - ١٠] .

الفهرس